قلم رصاص

نصف خطوة نحو الحقيقة

مجلة شهرية ثقافية منوعة تصدر عن موقع قلم رصاص | العدد 2 تموز 2016

تطالعون في هذا العدد:

«انتحال صفة..!» مقال للروائي السوري خليل صويلح

«كففت عن أن أكون مسيحياً» المفكر جورج طرابيشي

الفنانة بادية حسن تغني دمشق وحلب وقريباً مصر

▪ نزيه أبو عفش و حداد..احتفاءً بالغياب

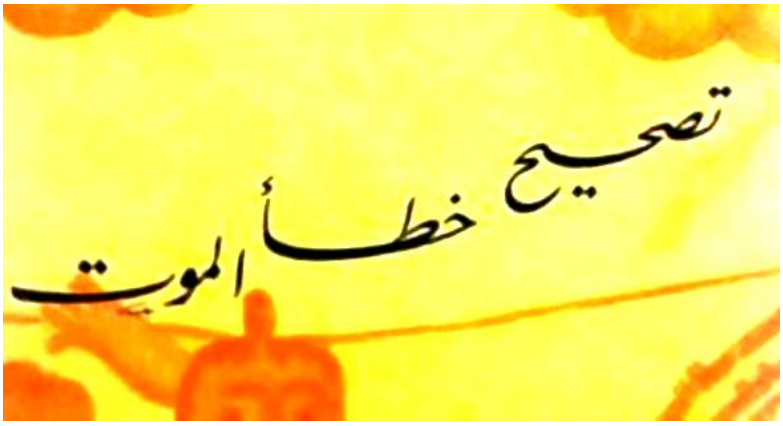

▪ الفاخوري..بلا وداع يليق به..رحل!

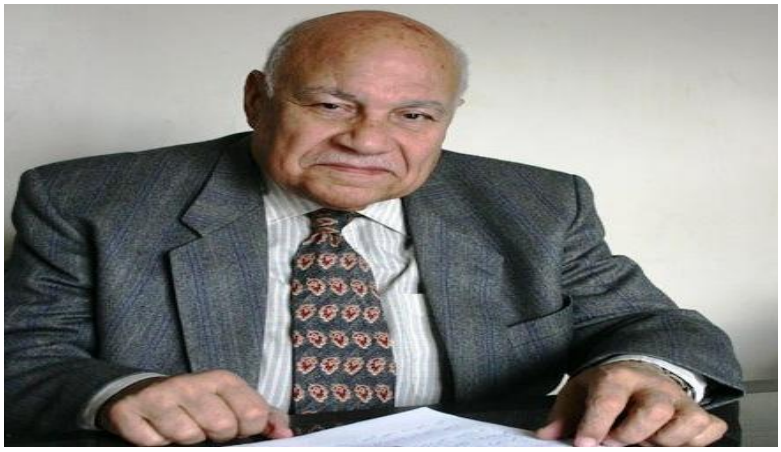

▪ رسام سوري يبيع لوحاته على الطرقات في بيروت

▪ وتطالعون في صفحة نقار الخشب نصوص لكل من:

ـ مناهل السهوي ـ المغيرة الهويدي ـ رند رومي ـ عبد الرحمان سالت ـ وفاء سعيد ـ علي السعيدي

مبراة | والمستثمرون لُعابهم !!

فراس الهكّار

من شب على شيء شاب عليه لا يحتاج هذا المثل المعروف إلى تبسيط معناه، إنما اتكئ عليه لأتحدث عن تدني مستوى الأخلاق لدى الأجيال المتعاقبة، إذ أن هذا الهبوط الحاد في مستوى الأخلاق لا يمكن أن يكون وليد اللحظة، بل هو على الأغلب يعود إلى مراحل الطفولة المبكرة، وإن اختفاءه أحياناً لا يتعدى مروره بمرحلة كمون يفرضها المجتمع بعاداته وتقاليده، لكنها ما تلبث أن تنتهي مفجرة حالة حقيقية ومزمنة من الانحطاط الأخلاقي والثقافي والاجتماعي في آن معاً. وقد شكلت الحروب المستعرة في هذا العالم فرصة لتفجيرها وإظهارها على حقيقتها دون أدنى حياء.

كان الأهل والأقارب وما زالوا في المدن والبلدات والقرى السورية وفي مختلف البيئات، ما أن يبدأ الطفل بالمشي والاستجابة للمناغاة بالابتسامات وتأدية بعض الحركات حتى يقولون له بلهجاتهم المحلية المختلفة: «اتفل على عمو»، أو «تف على عمو»، أو «أبزق على عمو».

وما أن يكبر قليلاً ويصبح يعرف النقود والذهاب إلى البدّالة حتى يبدأون يغرونه بالمال لتنفيذ المهمة ذاتها، فيرددون على مسامعه، «اتفل على عمو» واعطيك خمس ليرات، « ابزق على عمو» واعطيك عشر ليرات، «تف على عمو» واعطيك ليرتين...إلخ.

هذا ما يتعلمه أطفالنا في سني طفولتهم المبكرة، وهذا ما نشأت عليه معظم الأجيال المتعاقبة، وهذا ما اكتسبوه من محيطهم الذي تربوا وعاشوا فيه وهم يعتقدون أن كل ما يقوله الكبار صحيحاً.

كبر الأطفال وغدوا اليوم شيباً وشباباً وبقي هذا ديدنهم، فالطبع يغلب التطبع، وقد أصبحوا اليوم كتّاباً وصحفيين وأدباء ومثقفين ونقاداً وشعراءً وفنانين ومسؤولين وعواطلية وشلنتحية واستمروا بالبصق والتف، بعضهم ما زالوا يقبضون ثمن بصاقهم بالليرة، وآخرون كبر طموحهم وأجادوا استثمار لُعابهم في غير الاستمناء، وأصبحوا يقبضون ثمن بصاقهم بالعملات الصعبة، و"يتفون" في كتاباتهم وأحاديثهم فوقهم وتحتهم وعن يمينهم وعن شمالهم كمن يقرأ تعويذات خنفشارية لدرء الحسد، وهذا يعكس ضحالة التربية الأسرية وواقع البيئة غير السوية التي نشأوا فيها، لذلك يجب أن لا نستغرب ونحن نشاهد في تفاصيل حياتنا اليومية ووسائل الإعلام التي نطالعها مستوى الانحطاط الأخلاقي والانحدار الثقافي الذي وصلنا إليه لأن مثل هذه الأفعال الآنية تعكس الهوية الاجتماعية لهؤلاء البصاقين.

والأفظع من البصاقين المأجورين اولئك البصاقون بالمجان ممن أخذوا الأمر كهواية وهم لا يوفرون فرصة للبصق، حتى في الصحون التي أكلوا منها، ويحاولون إبراز أنفسهم بأية طريقة حتى لو كانت وضيعة فالغاية عندهم تبرر الوسيلة مهما كانت.

إن أفضل الحلول للتعامل مع هذا النموذج من الكائنات المحيطة بنا، هو التجاهل، نعم تجاهلهم لأنهم يعتاشون من بصاقهم، وإننا إذ نتجاهلهم نحرمهم متعة التلذذ بإغاظتنا ونحجب عنهم الشهرة التي يبتغونها.!

• رئيس التحرير

انتحال صفة..!

❖ خليل صويلح

في قراءة عيّنة عشوائية من مدوّنات مثقفين سوريين طارئين، لا نجد وصفاً دقيقاً أكثر من عبارة "انتحال صفة".
باعة خردة نوستاليجية يحتلون شوارع مواقع التواصل الاجتماعي مثل صيدليات مناوبة، يعرضون أدوية مقلّدة، وفطائر حكمة مغشوشة، وثمار معطوبة بوصفها إبداعاً بديلاً للنص المقيم، ومحاولة إزاحته عن الواجهة، تحت بند النص المستبد الذي فرض سطوته سلطويّاً. على هذا النحو سعى باعة جوّالون إلى تدمير التاريخ الشخصي للإبداع السوري واستبداله بنصوص رخوة إلا في ما ندر، متجاهلين أن معظم الإبداع السوري واجه مخاضات صعبة، وأتى من الضفة المضادة للخطاب الثقافي الرسمي، لكن فكرة "تحطيم الأوثان" أشاحت بنظر هؤلاء بعيداً، وإذا بنا حيال أرض سبخة لا تصلح للحراثة، وأن حرّاسها الجدد مجرّد فزّاعات لا تخيف أكثر الطيور جبناً. ما حدث للمنفيين العراقيين الذين هاجروا من بلادهم في حقبة الثمانينات وما بعدها، يعيده بعض السوريين بنسخة مشابهة، فقد كان هؤلاء ينتحلون صفات ليست لهم، وتعذّر أن تتعرّف على صاحب مهنة خارج حدود حقل الإبداع، عدا شخص وحيد كان يباهي في الحانات بأنه كان وسيبقى إسكافياً، أما الشاعر الذي كان يفكّك أزرار القمصان في قصائده الأنثوية، فقد تبيّن لاحقاً أنه كان يعمل في بيع الفحم للمقاهي البغدادية، فيما لم يتردّد آخر بوضع دال وهمية تسبق اسمه بوصفه باحثاً في التراث، ليتبيّن أيضاً، بأنه لم يكمل دراسته الإعدادية. الآن في المهاجر السورية الطارئة، نكتشف شعراء وفنانين وصحافيين لم نعرفهم قبلاً، أو إنهم بأحسن الظروف كانوا من ضيوف صفحات "بريد القراء" في الصحف الرسمية، أو كومبارساً في المسرح الجامعي، أو كتبوا زجلاً عابراً، وهاهم بكامل عزيمتهم يطالبون بإلغاء منجز كل من سبقهم بذريعة أن هذا المنجز سلطوي صرف، كما ينبغي علينا أن نصدّق حيثيات سيرة ذاتية منتحلة، مثقلة بالاعتقالات الوهمية والتعذيب والإقصاء، كما يحدث أمام مكتب للهجرة إلى أوروبا، وأن ندفع أيضاً ثمناً سيزيفياً لسباق المائة متر التي خاضها من جامع الحسن في دمشق إلى أقرب زقاق فرعي في مظاهرة عابرة فرّقها الأمن على عجل. حسن، لقد خرجتَ في مظاهرة ونقدّر لك شجاعتك، لكن ألم تقبض ثمن الفاتورة، وهل علينا أن نحتمل الآثار الجانبية لمأثرتك إلى الأبد؟ نحن لا نحسدك على صورتك السيلفي إلى جانب تمثال غوته، أو على ضفاف السين، أو في شوارع اسطنبول، ولكن أين نصك البديل؟ ثم نرجوك ألا تخترع قصصاً لم تحدث لك، فالذين عانوا من الاستبداد كتبوا مدوّناتهم باكراً، ودفعوا أثماناً باهظة، أما أنت أيها الكائن الطارئ، فدع مكاناً للبياض، ذلك أنك تشبه نسخة أخرى محليّة تعمل بتشبيح مضاد وتطالب بثمن الفاتورة أيضاً.
أرجوكم أغيثونا من مهنة " الإغاثة" فأنتم تغيثون أنفسكم أولاً، تحت عناوين برّاقة، ولا نظن أن المهجرين بحاجة إلى ترميم أرواحهم بعروض مسرحية إغريقية أو شكسبيرية، ذلك أن معظم هؤلاء يحتاجون إلى العتابا والنواح على بيوتهم وأمواتهم أكثر من حاجتهم إلى المنصات المسرحية المموّلة من منظمات مشبوهة في الأصل، ولا تجعلوا من "البسكليتاتي"، أو مهرّب الأغنام، أو لصوص المواد الغذائية، نسخة حديثة من يوسف العظمة. نريد نصّاً سورياً، لا يرى في تمثال المعري مقطوع الرأس مجرد كتلة معدنية، قابلة للصبّ مرّة أخرى، ولا يضع مدرج بصرى، أو آثار تدمر، في باب الأراضي المحرّرة، فالمقاولات الشخصيّة لا تصنع بلاداً، "حين لا بلاد" حسب قصة للراحل جميل حتمل. ما نراه لدى طائفة من الكتبة الجدد حالة ثأرية أكثر منها بلاغة أدبية أو مشهدية، واختراعاً لمبارزة لم تحدث قبلاً، وإذا بهؤلاء يمتلكون أرشيفاً ثقيلاً لبطولات متخيّلة، منذ أن كانوا تلاميذ في المدارس القروية، يرفضون كتابة مواضيع التعبير الوطنية، أو ترديد الهتافات في مهرجانات الطلائع والشبيبة وحزب البعث. ولكن هل هذه الثأرية هي من تصنع ثقافةً بديلة أم انها الوجه الآخر لنصّ سلطوي مرفوض؟ وهل السفاهة اللفظية في بعض هذه المدوّنات الطارئة هي ثقافة سوريا الغد؟
لا أحد يمتلك مشروعاً ثقافياً بديلاً حتى الآن، إذا لم نقل أن معظم الأطروحات الثقافية الجديدة هي نسخ مقلّدة عمّا كان موجوداً، بفارق موقع المتراس والأجندة المطلوبة بخصوص تعزيز حضور الهويات الصغرى كمشروع مكمّل لخرائط الميدان وتفكيك الفسيفساء الثقافية بوصفها عبئاً ثقيلاً، بدلاً من أن تكون امتيازاً حضرياً ومعرفياً وتاريخياً، ذلك أن ثقافة الهدم الرائجة لا تقابلها أعمال البنائين الجدّد، وكأن المطلوب تحويل الحواضر الكبرى إلى صحارى قاحلة، كي تبدو "مدن الملح" الطارئة، نموذجاً بديلاً، فيما سيبقى السؤال معلّقاً: لماذا لم تستطع الحكومات الوطنية أن تدافع عن هذا الإرث بصلابة؟

• روائي وكاتب سوري

سؤال البغل..!

❖ حسين رحيم

سُئلَ البغل مرة...من أباك؟
أجاب بتردد: خالي الحصان...رغم معرفته أن أباه مفخرة لعشيرة كل الأتانات والمطايا بدءاً من الجحش وصولاً إلى حمار جحا الحكيم.. ولست هنا بصدد تعداد فضائل وفوائد الحمار لبني البشر لأنها معروفة لأي حمّار (بشد الميم) أو فيلسوف يحترم نفسه لكنني أقول إن من جملة اسقاطات الإنسان على الحيوان وصفه وتسميته بصفات إنسانية لا علاقة لها بهذه الكائنات الرائعة والبسيطة كالبسالة والشجاعة والكبرياء والخديعة والجبن والغيرة والوفاء، ونحن نفعل هذا دوماً وما زلنا مصرين على أن البغل يخجل من أباه الحمار لأن اسمه مرتبط بالغباء وهو بريء منها، وأن الأسد ملك الغابة والثعلب محتال الغابة... ربما لو عرفت هذه الحيوانات ما نسميها به، والصفات التي نطلقها عليها لسقطت على قفاها ضحكاً..من اطلق على الأسد صفة الملك هذا الكائن الكسول، الاتكالي على اللبوة وهو بالكاد يحصل على ما يسد به جوعه وبالنهاية يموت شر ميتة، أين أخلاق الملوك من هذا (الأناني)..وهو يعرف ونحن نعرف أن الحيوانات سريعة وذكية في التخلص من المواقف الخطرة في عالم يسوده قانون البقاء للأقوى والأصلح... الحيوانات كائنات صادقة حد العظم لأنها لا تقبل أن تكون غير ماهي عليه.. هل رأيتم فيلاً يقلد مشية ابن آوى أم غراب يغرد كطائر الكناري..؟ لذلك فكل ما تفعله منطقي وله مبرراته..فقتالها الوحيد لأجل المكان أو لقانون البقاء للأقوى، هدفه تحسين النسل.. قتال الذكور فيما بينهم على الإناث دائماً ما ينسحب الخاسر منها دونما حقد... وحتى الهجرة لها مبرراتها وأسبابها وأغلبها بحثاً عن وليس هرباً من كائنات منطقية ليس لها أحلام أو طموحات كما في عالم الإنسان الذي يطلق جزافاً تسمية قانون الغاب حين يصف وحشية الإنسان... لكن ما يثير استغرابي أن القرد الذي يعد أكثر الحيوانات قرباً للإنسان هو أكثرها عرضة للسخرية والتشبيهات المضحكة... أما الطيور فهم سادة السماء وهم دائماً في هجرات مستمرة أسراباً وجماعات بحثاً عن اعتدال المناخ أينما كان...تحركهم ساعاتهم البيولوجية العظيمة.. ومن مهازل علاقة الإنسان بالحيوان هي حدائق الحيوانات...تلك المستعمرات الإجبارية في إذلال كرامة هذا الكائن ومحو هويته الحيوانية في الحياة وليتحول إلى مهزلة يتفرج عليه بنو البشر بوصفهم أفضل منه، من الإنسان، هذا الأمر وهو الذي وضع أحقر تسمية لهذا الكائن وهي (الحيوان) تلك الكلمة التي تعد إهانة لبني البشر في حين نجد أن القرآن الكريم قد منح تسميات لهذا الكائن أكثر احتراماً لها بوصفها (انعام)..وهناك ما هو اسوأ وهو السيرك الذي يخضع هذا الكائن الرائع لما يسمى بالترويض وتحويله إلى مسخ إنسان والقيام بحركات تحط من قدر هذه الكائنات لنفسها ومن جانب آخر يظهر بوصفه الكائن الوحيد الذي من حقه أن يكون الإنسان (السوبر) والذي تطيعه بقية الكائنات لما يريد هو...من حقه أن يستولي على أراضيها ويقتحم أمكنتها ومغاورها لكن ليس من حقه أن يقتحم أخلاقها ومسمياتها بما يشاء هو...لا بما شاء خالقها الله عز وجل....وينسى أنه من علم الحياة الحروب والدسائس والمؤامرات وهو من أدخل في قاموس الحياة كلمات..الخيانة...النفاق...التدليس الجشع...التعذيب.

• كاتب وروائي عراقي

احتفاءً بالغياب...وسلاماً للموت

❖ عمر الشيخ

يسعى الشعراء إلى النهايات، كأنهم يحتفلون بالحياة على طريقتهم الصاخبة، يعيشون كل يوم كأنه يومهم الأخير! يتناول بعضهم أكثر القضايا عدمية ورعباً، كأنه يقولون للقدر " نحن نسدد نحو تعبك، وأنت تصطاد الناس".. القدر هنا هو: الموت.

قانون يختم مشوار حياة البشر، يتنقل من شخص إلى آخر ولا يمكن أن يتعافى أحد منه، يفاجئ الجميع، ربما، إلا الشعراء، إذ يكتبونه كاليوميات رفيق دربهم، كما قال عنه الشاعر الراحل محمد الماغوط حينما سألته هالا محمد في لقائه الأخير: "هل تخاف من الموت؟"

أجابها الماغوط: "الموت صديقي..لا أخافه".

عشرات الشعراء قبل الحرب بسنوات كتبوا عن الموت، عاشوا تفاصيله بدرامية مختلفة عن فجائع الآن، كأنهم تنبؤوا به، وهنا سوف نضع البيكار على بعض نصوص الموت لكل من الشاعر نزيه أبو عفش والشاعرة الراحلة دعد حداد.

الورق.. والآن!

(الحفّار) يعود إلى الذاكرة، يرتب غياب الأمكنة والأشخاص، ينتقي الرثاء الذي يليق بصمته.

هي الجملة الشعرية التي ينحتها الشاعر نزيه أبو عفش (1946) في تلك القصيدة، متعمقاً بالمعرفة الزاهدة، كأنه يجمع المقابر على الورق "أحفرُ كي أراني " رؤيا الوجع وقراءة الغياب، هكذا، يعيد الشاعر وجعه إلى الأسلاف، إلى الأشجار والهواء، يصوّر بمهارة محيط الغابات ويؤنسن تفاصيله بعد أن نفخ الوجع في صور الحكاية.

تتباعد الأصوات و"الدودُ الشقيُّ ينسجُ النسَ في أبدِهِ الداكنِ" يصوغ في عوالم الموت مشهديته الأبعد، الأعمق في دروب الأسى، والرضى يجلس فوق العناوين بعيداً عن القدر، لا تدخل تلك القصيدة إلى الأغاني، بل تسرقها الصرخات على عتبات الصراخ العالي:

أستنطِقُ ما يهبُّ من ظلامهم على فمي ../أقولُ ما قالوه؛/

"كأنني الربّ.. منتصرٌ ووحيدٌ في سماءِ نفسي."

أُحْيي شجنًا لكلامٍ في محبرة الكلامِ؛ / أرعى غنمي على مروجهم؛/ أشربُ من إناءِ موتهم؛ / أقول ما قالوهُ : "ما يقوله الظلامُ لي".

تبدو الحقيقة لدى الشاعر أبوعفش أبديّة كالموت، ففي قصيدة (الحفّار) تلمّح اللغة لم هو أبعد من الصور، أقرب إلى النبوءة، الانسان أمام عواصف قدره، متخماً بالخيبات وواهماً بأمل الخلاص، يأتيه الشعر أغنية طويلة لا تنتهي حتى لو في القبور..

هذا العالم الذي يجسده الشاعر في معظم تجاربه الشعرية محللاً لعناصر الكارثة بروح إنجيلية، إذ نتلمّس حضور القداس ولوثة الأناشيد الكنسية في اللغة والصورة، لم يكن ثمة حرب، بل إنسان سوري يناجي أوجاعه ويرى، الآخرة مزركشة بالرحيل المنتصر.. على عكس ما يقوله اليوم في قصائد جديد أكثر كثافة وأشد ألماً كما في قصائده التي ينشرها على صفحات جريدة الأخبار اللبنانية:

"نعم ! أنا المنتصر.../لم يبقَ لي عدوٌّ ولا صاحب/..

لا ذاك يستطيع أن يكون وارِثي، ولاهذا يستطيع أن يحلم../ «أنا المنتصر» / صرختُ كما لو أنني أريدُ إسماعَ الموت./ منتصرٌ، وحيدٌ، ولا شريكَ لي./

كأنني الربّ.../ منتصرٌ ووحيدٌ في سماءِ نفسي./

كأنني الربّ:/ وحيدٌ... و«لا أحد»".

أصبحت التجربة وسط الخراب، وأصبح الموت حقيقياً لا كما كان على الورق ولحن القصيدة، إنه يتلاشى في تسلسل فكري أقرب إلى الناس، وأبسط مما كان عليه قبل، عصبة التفكيك باتت بعيدة، فالنص هنا يصل بنيرانه التي يسقيها السوري من مأساته اليومية.

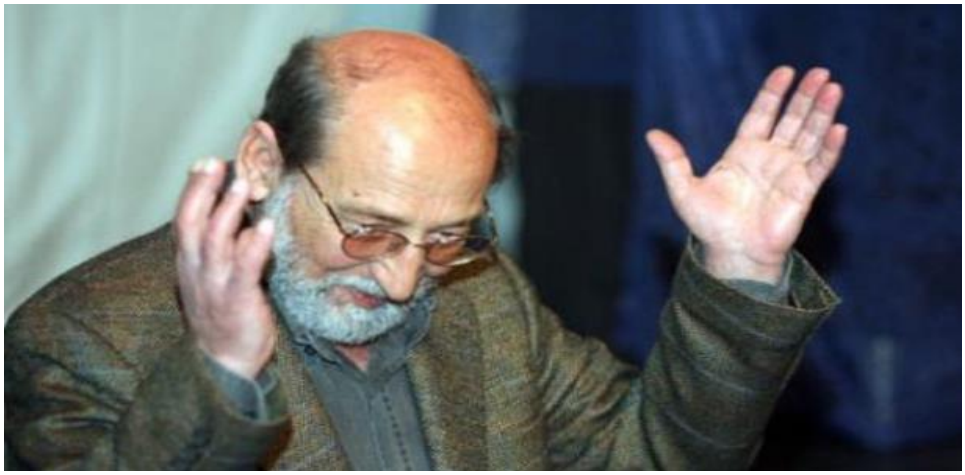

الشاعر نزيه أبو عفش

الشاعرة دعد حداد

تصحيح خطأ الموت

في نهاية تسعينيات القرن الماضي، مضت الشاعرة دعد حداد (1937-1991)، رغم شغب الأزمنة التي عاصرتها، عاشت وحيدة كالضوء، وكتبت قصائدها في الحدائق العامة وعلى أرصفة العتم، كانت تعرف تماماً أن النص الذي ترثيه هو ذاتها الضائعة على عتبات الجحيم، وحشة وأسئلة بحجم الضيق الذي كان تعيشه البلاد في الثمانينات، نشرت كتابها الأول (تصحيح خطأ الموت) وفيه محاولة صامتة لرسم موسيقى الألم والشوارع المرعوبة: "أيها الدرب الموحش!/ يا درب الحب!/ سأعد خطواتي، / فالوحدة علمتني العد".

يتناهى لدعد حداد موسم الرحيل إلى الذات، تقصي مواجع المرأة ووحدتها، إلتماس الصرخة دون أن تجلد الآخر، تمرر عباراتها على سلم موسيقي قلّ استخدامه في الشعر السوري، حيث نلاحظ حرصها الشديد على ألا تكون الصورة مجموعة تشابيه، بل ثمة سعي لأن تغرق التفاصيل في شعريتها المخفية، حيث الضوء واللون شركاء اللغة، والمرأة التي تكتب قصيدتها هنا أخيراً ستصبح "الشجرة التي تميل نحو الأرض" جذور تضرب في الأسى، تسمع أنين من مضى، وتشهد للصوت أنها أخر قصيدة في برزخ المدينة...

"في غرفة ستائرها قرمزية وهواؤها، بلون الرصاص/ الذي خضب قلبها الطفلي / مخترقاً الستائر الحمراء / وثقباً ولخيوط الفجر الغجري/ ملوحاً بمنديل عرسها المبلل../

وهي تنتظر ../ في ساحة الغجر / تصحيح خطأ الموت!!/ وإغلاق المكان."

ربما قصدت الشاعرة بكلمة (التصحيح) رفض مسار الاستسلام لقدرية الكائن بالفناء الأخير، بدأت على نحو خاص بإعادة الحياة إلى طريقها الذي تراه، طريق المغامرة، لقد قدمت أوراق تحمّلها قبل أن يفكر الزمن بسرقة همومها وحرف عاطفتها نحو الأمل، صححت خطأ الموت بالشعر.

• كاتب سوري / قبرص

المحطة الأولى: كففت عن أن أكون مسيحياً..!

❖ المفكر جورج طرابيشي

أصيص زهر من الأصص التي كان من عادة سكان بلدتي حلب أن يزيّنوا بها شرفاتهم فأموت وأنا في حالة خطيئة مميتة.

ووصلت إلى البيت وأنا في شبه هذيان وأصابتني حمّى حقيقية وبقيت يومين طريح الفراش، ثم لما أفقت كان ردّ فعلي الوحيد أنني قلت بيني وبين نفسي: لا، إن الله ذاك الّذي حدثني عنه الكاهن لا يمكن أن يوجد ولا يمكن أن يكون ظالماً إلى هذا الحدّ. ومن ذلك اليوم كففت عن أن أكون مسيحياً.

(مأخوذ عن مقال للمفكر بعنوان: ست محطات في حياتي).

مفكر وكاتب وناقد ومترجم عربي سوري، من مواليد مدينة حلب 1939، يحمل إجازة في الأدب العربي من جامعة حلب وماجيستير في التربية من جامعة دمشق.
له العديد من المؤلفات في الماركسية والفكر والنقد، رحل في 16 آذار 2016 في العاصمة الفرنسية باريس.

وأنا في رحلة نهاية عمر، وبعد عقود ستة من صحبة القلم الذي آثرته – عدا زوجتي وبناتي – على كل صحبة أخرى، أجدني أتوقف أو أعود إلى التوقف عند ست محطات في حياتي كان لها دور حاسم في أن أكتب كل ما كتبته وفي تحديد الاتجاه الذي كتبت فيه ما كتبته وحتى ما ترجمته.

المحطة الأولى: ولدتُ من أسرة مسيحيّة وتديّنت تديّناً مفرطاً في الطور الأوّل من مراهقتي.

وكنت أؤدي كلّ واجباتي الدينية بحساسية تثير حتّى سخرية أخي الأصغر منّي.

ذات يوم في المدرسة، وفي السنة الثانية من المرحلة الإعدادية – وكنت صرت في نحو الرابعة عشرة من العمر- كان من جملة دروسنا درس التعليم الديني الذي كان يتولاه كاهن معروفة عنه صرامة الطبع. وكنا في تلك المرحلة قد تكونت لدينا فكرة واضحة بما فيه الكفاية عن خريطة الكون وكروية الأرض ودورانها وحجمها. وفي أحد دروس التعليم الديني قال لنا المدرس الكاهن: تعرفون أنتم يا أولادي الآن ما هي الكرة الأرضية، وتعرفون حجمها.

أريدكم الآن أن تتصوّروا كرة أرض أكبر من أرضكم بمليون مرّة، وأنّ هذه الكرة الأكبر بمليون مرة من كرة الأرض ليست من تراب وماء بل هي من حديد فولاذي صلب. هذه الكرة الأكبر من الأرض بمليون مرّة والأصلب من الحديد الصلب، يمرّ عليها كل مليون سنة طائر، فيمسحها بجناحه. فكم وكم – وهذه الكلمة لا زالت ترنّ في أذني إلى اليوم- كم مليون.. مليون.. مليون سنة يحتاج هذا الطائر إلى أن يمسح بجناحه مرة واحدة كلّ مليون سنة ليذيب هذه الكرة الحديدية الأكبر من الأرض بمليون مرة؟ تذوب هذه الكرة ولا يذوب عذابكم في جهنّم إذا متّم في حال الخطيئة".

سمعت هذا التحذير الحسابي فأصابتني رعدة. – فقد فهمته بكل أبعاده إذ كنت في حينه تلميذاً متفوّقاً – وخرجت من المدرسة وسرت في الطريق وأنا أطأطئ رأسي. ذلك أن المدرسة كانت تقع في حيّ عتيق جدّا وكئيب، تفوح منه روائح الأماكن المغلقة. وعلى بعد حوالي 200 متر كنا نخرج من الدرب الضيق والمقفل عليه ليلاً بباب حديدي الى شارع عريض ومفتوح تطالعنا منه، أول ما تطالعنا، بناية حديثة نسبياً تقطن في الطابق الثاني منها أسرة إيطالية، لها ثلاث بنات جميلات جدّاً، وغالباً ما نجدهن جالسات في "الفيرندا" ومرئيات للناظر من الشارع في إطلالة آسرة . وما إن نظرت إليهن عصرئذ حتى أسرعت أخفض نظري وأغمض عينيّ. لماذا؟ هنا لا بدّ أن أعود الى المسيحية التي ولدت فيها وعمّدني أهلي عليها. ففي المسيحيّة يقال إن الخطيئة مثلّثة: خطيئة بالعمل وخطيئة بالقول وخطيئة بالفكر. وحتى هذه الخطيئة الأخيرة قد تكون خطيئة مميتة، وعقابها جهنم إلى أبد الآبدين حسب اللاهوت المسيحي إذا كان مدارها على الجنس نظراً الى الوصية التي تقول : لا تشتهِ امرأة غيرك. والحال أن كل امرأة هي امرأة للغير ما لم تكن زوجة شرعية. ومن ثم، إن الشهوة الجنسية تغدو بحد ذاتها مسبِّبة لخطيئة مميتة ولا يغفرها الله للإنسان ولا ينجيه من عذابات جهنم ما لم يعترف بها للكاهن. وكان الكاهن يركّز على خطيئة الفكر هذه في درس التعليم الديني لعلمه أن مدار تفكير الصبيان في طور المراهقة هو على الجنس. وعلى هذ النحو توزعت نفسي وأنا أخرج من درب المدرسة الضيق الى الشارع المفتوح على فيراندا الصبايا الإيطاليات الثلاث بين الرغبة في النظر وبين الخوف من العذاب الأبدي في نار جهنم على ذلك النحو المرعب كما صوّره لنا الكاهن من خلال مثال الطائر والكرة الحديدية الأكبر من الأرض بمليون مرة. وهكذا لم أكتفِ بإغماض عينيّ، بل رحت أمشي في الطريق إلى البيت وأنا أحاول أن أطرد من فكري صورة الإيطاليات الثلاث وكلّي خوف من أن تشاء المصادفة أن يسقط فوق رأسي من إحدى الشرفات

محمود الفاخوري...رحل ربان «سفينة الشعراء» بصمت

❖ ويليام فارس

الكبار يرحلون بكل هدوء وطمأنينة بلا أي صخب، لا يثيرون ضجيجاً، هم في موتهم كما هم في حياتهم، وهكذا عاش ورحل العلّامة محمود الفاخوري الذي ودع هذه الدنيا قبل أيام، وأنت تتبع سيرة الرجل الذي شكّل طفرة في عوالم اللغة والأدب والشعر لن تجد سوى العمل والمثابرة والجد والاجتهاد والإنجاز ثم العطاء الأصيل المنقطع النظير، فتسأل نفسك كيف اتسعت الأيام التي عاشها لكل هذا العطاء؟

وأين كان مثل هذا الرجل عنّا لما لم نسمع باسمه من قبل؟

لماذا لم يحتفوا به يوماً؟ ألا يستحق مثل هذا العطاء الثقافي وهذا الإرث الأدبي أن يُحتفى به؟

الأسئلة كثيرة والجواب هو ذاته لم يتغير منذ عقود، منذ أن أصبحت الثقافة والمثقف رهائن بيد الجاهلين الذين تولوا شؤون الصحافة والإعلام، وحولوا الإعلام الرسمي إلى بؤرة من بؤر التطرف الشللي ورمزاً من رموز الفساد المتفشي في بلد مثل سورية.

هذا الإعلام الذي لم يدخر جهداً في نفخ بوالين فارغة في كل المجالات الثقافية من الشعر إلى الأدب إلى الصحافة ذاتها، لم تتسع صفحاته لخبر نعي يليق برجل مثل محمود الفاخوري.

اقتصر نشر خبر وفاته على ما نشرته صحيفة الجماهير المحلية في حلب، وبعد يومين من وفاته نشرت صحيفة الثورة خبر تشييعه بصفحة المنوعات، أما بقية الصحف لم تأتِ على ذكر وفاة الفاخوري الذي خلّف ما يزيد عن ثلاثين كتاباً تُعتبر من أهم المراجع في اللغة والأدب العربي. ولم يشارك أحد في عزائه باستثناء اتحاد الكتاب العرب.

مسيرة طويلة وعطاء لا حدود له رغم ذلك لم يحظَ الرجل بتكريم يليق به لا حياً ولا ميتاً. بالفعل لا كرامة لنبي في وطنه، ولا يُلام إعلام يديره من لا شأن لهم في الصحافة والإعلام والثقافة، ليسوا سوى " نقيشة" تقارير كانت كفيلة بإيصالهم إلى أعلى السلم الوظيفي في قطاع من المفترض أن يكون رقيباً وحارساً يستميت في الدفاع عن المبدعين لا أن يتحول رؤساء التحرير فيه إلى ضباط ارتباط يزجون بكل من يتفوق عليهم إبداعياً ومعرفياً في أقبية الأرشيف أو يجمدونه كما يحدث في صحيفة تشرين منذ سنوات.

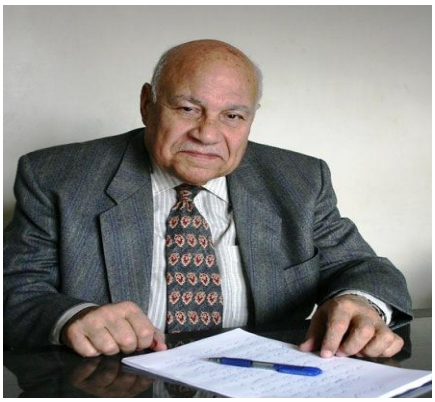

الراحل محمود الفاخوري

العلّامة محمود الفاخوري مواليد مدينة حماه 1933م، عمل مدرساً في جامعة حلب كلية الآداب، ورئيساً لنادي التمثيل العربي للآداب منذ عام 1990م، عضو اتحاد الكتاب العرب، له عشرات المؤلفات والأبحاث والدراسات الهامة في الشعر واللغة والأدب. رحل في 22 حزيران 2016.

قصة قصيرة:

«القناص الأخير»

(1)

أشعل سيجارته وبدأ يمجها وينفث سحب الدخان في الهواء، كانت الليلة هادئة على غير العادة، يبدو أنها هدنة غير مُعلنة، لا توجد أي حركة في محيط البرج، فتح هاتفه وأرسل إلى حبيبته التي تنتظر عودته بفارغ الصبر، عبر برنامج «الوتس آب».

«مرحبا حبيبتي..طمنيني عنك أنت بخير؟

ردت: أهلاً روحي..أنا بخير ومشتاقتلك خيرات الله..وكنت أفكر فيك

أرسل: يلا حبيبي بقي يومين وأنزل..

ردت: ناطرتك على نار الشوق..

أرسل: حاسس أنهن سنة مشتاقلك لعند الله..ردت: وأنا اشتقتلك..يا عمري

أرسل: يلا هانت... خلصت استراحتي

ردت: طيب باي حبيبي..انتبه على حالك

أرسل: وأنتِ كمان..باي عمري.. بحبك...

ردت: بحبك...»

سرح كثيراً في تفاصيل الكلمات، أعاد قراءة المحادثات غير مرة، بل رجع كثيراً في المحادثات وأعاد قراءتها، كان يقرأ الحروف ويمج سيجارته وينفث حلقات الدخان فوق رأسه، ويتخيل همسها له، مع كل كلمة كان يزيد إصراره على الحياة ورغبته في أن يعيشا حياة هانئة بسيطة بعيدة عن ضوضاء الحرب، كان يعتقد أنه سينهي خدمته في غضون عام ونصف بعد أن تخرج من كلية الصيدلة ويعود فيتزوجها ويعيشان في رغد، لكن القدر كانت له مشيئة أخرى، وطال أمد خدمته إلى خمس سنوات ولا يعرف متى يمكن أن تنتهي..كان يهم بإطفاء سيجارته والتمركز في موقعه حين إنهالوا عليه بوابل من النيران، لم يكن بوسعه أن يلتفت ويرى صورة قاتليه، سقط جثة هامدة ودمه الحار ملأ المكان، تناول أحدهم هاتفه، التقط صورة لجثته على الفور ووضعها صورة شخصية في «الوتس آب»، وبدل الحالة من « الوطن غالٍ..الوطن عزيز» إلى أخرى جديدة «تم دعس الخنزير»، وسارعوا إلى نشر صوره على « فيسبوك» وتبديل صورته الشخصية في الفيسبوك أثناء حفل التخرج من الجامعة بصورة جثته المضرجة بالدماء. لم يصدق أحد من الأصدقاء والأقارب أن هذه صورته، منذ نصف ساعة كتب على صفحته « وإننا نعشق الحياة ما استطعنا إليها سبيلاً»، لا حتماً أن أحدهم اخترق صفحته ويحاول اللعب بأعصابنا، استنفر الأصدقاء المقربون، أما هي فقد نامت بعد أن اطمأنت عليه وهي تحلم باللقاء المُرتقب بعد يومين، اتصل به بعضهم على الفور، رد أحد قاتليه على هاتفه: «يا كلاب ما رح نترك منكم واحد..جايكم الدور بإذن الله».

كل من حاول الاتصال به في تلك الساعة سمع نفس الكلمات من قاتليه، بعدها أصبح رقمه خارج نطاق التغطية، وعلقوا الأصدقاء صوره، وسارعوا إلى تصوير محادثاتهم معه ونشروها عبر صفحاتهم، وما بقي من ذكرياتهم على صفحات الفيسبوك، ونعوه رسمياً شهيداً للبرج الأول على خطوط التماس. حتى اولئك غير المقربين منه أصبح في لحظة صديقهم الحميم.

لم يجرؤ أحد من الأصدقاء المشتركين أن يرسل لها، أو يتصل بها، إلا أن كابوساً مُزعجاً قد أيقظها، رأته في منامها يكاد يموت عطشاً ويطلب الماء، وكلما اقتربت حتى تسقيه منعوها أصحاب الوجوه السوداء.

فتحت هاتفها بعد أن رأت بعض الإشعارات، لم تستوعب الأمر، حاولت الاتصال به غير مرة بلا جدوى، صرخت إلى أن أغمي عليها..

«شهيدٌ بلا جثة..شهيدٌ بلا قبر..شهيدٌ بلا عنوان..شهيدٌ بلا حبيبة..أريد أي قطعة من جسده، من ثيابه أريد بعض عطره»، هذا ما قالته حين أفاقت وأيقنت أنه قد قضى نحبه وأن اللقاء بينهما قد تأجل إلى أجل غير مُسمى. لا أحد يستطيع إعادته لها، أخذوه بعيداً إلى حيث حقدهم الأسود.

(2)

تجمعوا فوق جثته كالغربان، تأكدوا أنه قد فارق الحياة، صرخ رئيس مجموعتهم: اتركوه لا تدفنوه، دعوا جيفته تأكلها الكلاب، قتل منا الكثير قبل أن نتمكن من قتله.

رد أحدهم: لكن إكرام الميت دفنه..

أجابه: الميت وليس الخنزير.. وإذا قاطعتني مرة أخرى سألحقك به...من لديه اعتراض منكم عليه أن يتذكر ما فعله هذا الخنزير بأخي الذي كان واقفاً خلف شجرة الكينا الضخمة في مدخل الحي، أراد التبول فقط قبل أن يمضي إلى استراحة الغداء، ظن للحظة أن الألم الذي أصابه فجأة ناجم عن تحرك الرمل والحصى في حالبيه، لم يدرك أن رصاصة هذا القناص قد اخترقت عضوه الذكري إلا حين رأى خصيتيه وقد سقطتا على الأرض أمامه واختلط الدم بالبول.

تألم كثيراً ولم يكن بوسعنا الاقتراب لسحبه، لم يحتمل الألم أكثر وعجزنا عن إنقاذه، ولم يستوعب ما جرى له في لحظة سحب مسمار الأمان من قنبلة يدوية في جعبته لم نكن انتبهنا أنه فعل ذلك لأننا كنا مشغولين في إيجاد طريقة لسحبه وإسعافه، لم ننتبه إلا حين سمعنا صوت انفجار القنبلة، لقد مات.

حينها لم أعرف ماذا سأقول لأمي فقد كانت توصيني به قبل أن توصيني بنفسي، إلا أنه لم يكن بوسعي فعل شيء، لو عرفت أن هذا القاتل يتربص به ما تركته يذهب إلى تلك الشجرة، فقدت أخي بلحظة كانت أشبه بالحلم، لا هو كابوس طويل تراودني تفاصيله كلما اطبقت جفوني.

والله لو جعلت من جلد هذا الخنزير أحذية وأطعمت لحم جيفته للكلاب لن تهدأ روحي فما زلت أذكر جيداً تفاصيل موت صلاح.

لم تكن ميتةً عاديةً قتله ابن الحرام بكل دم بارد، واختار مكاناً مميتاً لروحه قبل جسده حين أطلق رصاصته على جسده النحيل.

اعتقد أني سأنام مرتاح البال بعد أن أخذت بثأره، وعدت أمي أني لن أراها إلا إذا جئتها حاملاً رأس قاتل أخي والآن أصبح بوسعي أن أراها وأنا رافع رأسي بعد أن أخذت بثأر صغيرها المدلل، وقد تحققت عدالة السماء فالقاتل يُقتل ولو بعد حين.

ولن يشفى غليلي قبل أن نقضي عليهم جميعاً، إنهم لا يستحقون الحياة ويجب أن نريحها منهم ولن نترك منهم أحداً.

(3)

اهدأ يا خالد منذ أن اخترنا هذا الطريق ونحن نعرف نهايته، علاء ومحمود وطارق وبالأمس صلاح، وغداً لا ندري من ربما أنا وربما أنت كل فرد منّا حمل السلاح لا خيار أمامه سوى أن يقتل أو يُقتل، هذا قانون الحرب لم تعد المسألة تسلية وتباهي بالسلاح والرصاص أمام الفتيات كما كانت في بدايتها بالنسبة للبعض، اختلف الأمر اليوم يا صديقي وإن كانت لعبة فعليك أن تعلم أنها لعبة الموت ليس إلا، هذي الحرب بركان ينفث حممه ولا يبدو أنها ستبرد قريباً، قد نفنى جميعاً قبل أن ندرك نهايتها، ومن يدري إن كان القادمون سيذكرون تضحياتنا أم لا؟

- لا يهم ما خرجنا طلباً للمجد نريد إنهاء الاستبداد الجاثم فوق صدورنا مهما طال الزمن وسنقاتل حتى آخر رصاصة.

- أنت تعلم جيداً أن الرصاص لن ينتهي ما دامت الأصابع على الزناد..

- إذن هو نصر أو شهادة لا خيار آخر غيرهما، ويجب أن تكون مؤمناً بذلك أما إن كانت همتك قد فترت وأحلامك قد تلاشت فهذا شأنك وحضن الوطن مفتوح ينتظرك، بإمكانك العودة، لكن لا تجعلني أراك حينها وإلا ستستقر رصاصات مسدسي في رأسك.

- ما هذا الكلام يا خالد؟ لماذا تحدثني بهذه الطريقة ونحن شركاء في مشروعنا منذ البداية؟

إذاً لا ترجع لمثل هذا الحديث مرة أخرى وإلا..

وإلا ماذا؟

أخرج خالد سيجارة مارلبورو من علبة السجائر وبدأ يمجها وينفث دخانها فوق الجثة الهامدة..وقال:

- لا شيء يا صديقي لا شيء.. دعنا ننتقم لشهدائنا كما يليق بهم، انزعوا عن هذا المأفون ثيابه ثم طوفوا به في شوارع الحي ثم خذوه وعلقوه وسط الساحة، كي تهدأ أرواح أخوتنا وتهدأ نفوس أهاليهم.

لوحة للفنان عبد الحميد فياض

(4)

مرت ثلاثة أيام والجثة معلقة، لم تعد رائحتها تسمح بالاقتراب منها والتقاط الصور التذكارية معها، بدأت الديدان تأكل الأحشاء واللوعة تأكل قلب والدة ثكلى وحبيبة مفطورة القلب.

كل ساعة صورة تذكارية جديدة مع جثته، لم يبقَ في الحي شخصٌ لم يلتقط صورة مع الجثة المتعفنة، يقفون على يمينها وشمالها وتحتها يرفعون أصابعهم بإشارة النصر ويبتسمون، بعضهم التقط صور بوضعية « سيلفي» وجثة الخنزير خلفي، هكذا علقوا عليها حين تبادلوها عبر الانستغرام والتويتر..

كانت رائحة الموت تفوح من الصفحات الافتراضية، أين كان مخزوناً هذا الحقد الذي فجرته وسائل التواصل الاجتماعي القذرة، أيعقل أن يكون الناس هنا يكرهون بعضهم لهذه الدرجة، فتحت صفحتها في الفيسبوك وكتبت: هذا ديدن العرب يُقال أنهم كادوا يفنون بعضهم يوماً ما من أجل ناقة، ومرة من أجل سباق خيل، ما هذا التاريخ المشبوه والجاهلية المتأخرة، تلك اللعنة الشيطانية التي أصابتنا لا يُمكن أن تكون مُكتسبة، أغلب الظن أنها جينية موروثة..وها نحن قد عدنا إلى جاهليتنا ندفع الجزية لأسيادنا من دمائنا، ونطلق الرصاص على أحلامنا وقلوبنا الطيبة..ونصرخ فوق الأشلاء والجثث..

طوبى للموت..

طوبى للموت..طوبى للموت..

وما من ميت إلا وكان في سره طالب حياة...

لكنه يصرخ مُكابراً..

بالقتل وحده يحيا الإنسان.

❖ ف . هـ

السقوط..!

❖ حسان الجودي

والكآبة تفحُّ في رأسكَ، وتنفثُ سمومها السّوداءَ فتجري في أعضائكَ، وتجرفُ معها الرطبَ اليابسَ الذي يتطايرُ دون جاذبيّةٍ خبطَ عشواء، من يُصبُه كمنْ يخطئُه، يحرّكُهُ نحو المصبِّ. من أنتَ ؟ وماذا تفعلُ في هذا العالم وحيداً، ومليارات الثقوبِ السّوداء تدعوكَ إلى السُّقوط في فوّهات العدم. يطاردكَ حلمُ السُّقوط منذ طفولةٍ شقيّة، تسقطُ من سطحِ البيتِ، من الشجرةِ، من السُّور الأثريِّ المتهدّم. تسقطُ وتسقطُ إلى اللانهاية. حيثُ لا تسمعُ إلاّ صراخَكَ في الكابوس. وها هي الأحلامُ ذاتها ترافقكَ كبيراً... السّقوط والسّقوط من المصاعدِ وناطحاتِ السّحابِ وجسورِ القطاراتِ السّريعةِ. ومن نبتةِ الفاصولياء العملاقةِ، ومن برجِ الأميرةِ المسجونةِ. تقرأُ عن فيزيائيّةِ الأحلامِ، ومن أنّ خوفكَ من السُّقوطِ، هو خوفُ الكائنِ الذي كَنْتَهُ منذ آلافِ السّنين حين كان يسكنُ أعالي الأشجار. تقولُ في نفسكَ : تبّاً لعلمٍ لا ينقذني منْ كآبتي ومنْ كوابيسي، ومنْ رماحٍ مُدببةٍ صغيرةٍ تتساقط حولي من كلّ جهاتِ الكون. الكونُ الذي في الخارج، الكونُ الذي يجعلني أمشي حافياً على ضفّةِ النهرِ القريبِ باحثاً عن تمساحٍ يفترسُ سيقاني، فأجلسُ خلفَ نافذةٍ، في وطنٍ ليس لي، أدرّب كلماتي على الصممِ، كيلا تسمع حنيني المُدوّيَ، إلى رقصٍ في احتفالِ الحياة.

قبل أنْ تنجبَ القصائدَ وقبل أن تنجب الأطفالَ، أُورثتَ الكآبةَ. تلك الكآبة التي تُحْسنُ ألفَ لغة، وتكتبُ ألفَ كتابٍ، وتترجمُ كلَّ أصواتِ الحياة، إلى نعيب بومةٍ تسأل عن الجدوى.

وهل من جدوى في الحبر الذي يصبغ كفيكَ، ولكنّه عاجزٌ عن رسم ابتسامةِ أملٍ على قناعك الكرنفالي ! وهل من جدوى أنْ تبذرَ أطفالكَ في أثلامِ الحياة، ثم تقضي عُمركَ هاشّاً عنهم الجرادَ والأفاعي، لتكتشفَ أنهم تسللوا من تحت أقدامكِ في الليل، وتركوكَ وحيداً لأوهامكَ! وهل من جدوى في انتصاركَ للإنسان وفي دفاعكَ عن الجَمال، وقبركَ منذ ولادتكَ، تحفرهُ الهزائمُ بمخالبها المدببة! هل من جدوى وأنتَ تبحثُ في كتبِ النبوءات، وفي كتب العلم، وفي كتب الشِّعر، عن يقينٍ واحد فلا تجد.

تعشقُ (المعريَّ)، وتعشقُ قراءتها بعد قراءة (المعريِّ). وتعشقُ رفقتها في زيارة ضريح (المعريّ)، وماذا بعد ذلكَ غير عواصفَ رملٍ هوجاء تمحو كلَّ لحظات السّعادة السريعة، لتعيدكَ شبحاً يقف خلف قضبان المعرفة. يبحث عن سجّانه الخفيِّ ليسأله عن موعد زيارة الأمِّ التي ماتت وتركته بدون فطام وبدون عظام، وها هو لا يستطيع تقويمَ اعوجاج فكّه لينطقَ بالحقيقة. ومتى اكتشفتَ الحقيقةَ؟ تسألهُ حمامةٌ منزليّةٌ تشاركه الطعامَ، يجيبُ بببساطةٍ: حين قرأتُ، وماذا قرأتَ؟ تعيدُ الحمامةُ السؤالَ، فيعدد لها المدنَ المهدّمة، والشهداءَ والطائراتِ والقذائفَ وحشرةَ (كافكا) وقوارضَ المدارس التي تأكل الآذان المغمورة بزيت الشَّيخ عقاباً على الرسوب المتكرّر في الإنصات.

وماذا قرأتَ؟ يجيبُ : إلفةُ طائر (أبو الحنّ) وهو في عشّه على الجدار المهجور، فترفع صوتها جرذانُ المقابر الجماعيّة تحت الجدار.

تستيقظُ الأساطيرُ البابليّة والسومريّة واليونانيّة في شِعر (السَّياب)، يستيقظ الصقرُ الإلهيُّ، الذي يمزّق الروحَ، ويتخلّى تمّوزُ الخصيبُ عن المدينة، فينتشر الجوع والجفاف، وتعوي كلاب الجحيم.

وكلّ ما عليكَ فعله لتتأكد من الصّوت والصّدى، هو أنْ تذهبَ إلى أعلى جرفٍ صخريٍّ، وتختبر السقوطَ الذي منه تخاف. وحين تسمع تلك الهسهسة الوحيدةَ الغامضةَ، لزواحفِ العبثِ العملاقة. استعنْ بالتورية، واختفِ في الشوارع التي تهلّل لـ(فان غوغ) ، وارسمْ معه حدائقَ الشرق الصوفيّة المكتنزة بالأشواق والرغبة في لبس الجبّة والصراخ : لقد وجدته!

ترصفُ كلماتكَ بعنايةٍ، تطبعها بأناقةٍ على حاسوبكَ الشخصيِّ، تخشى من كتابتها بخطِّ يدكَ، كيلا تعدَّ رسالةَ انتحار. تعنونها برسالةِ حياةٍ، وترسلها إلى أصدقاء لم يعودوا مطلقاً أصدقاءَ، وإلى أبناء لم يعودوا مطلقاً أبناءً، وإلى حياةٍ لم تعد حياتكَ، لكن رغم ذلك تريدُ أن تكتشفَ المعنى فيها، من أجل خاطرِ امرأةٍ واحدة، قدّمتْ لكَ حياتها عكّازةَ ياسمين. فلم تستطعْ اجتياز ثقبٍ أسودَ واحد، تمدّد من حبلِ مشيمتكَ، وما زال يتمدّد. وها هو يسبق هذه السطور، ويشير إلى أعلى جرْف صخريٍّ...

تنحدرُ من علٍ، فلا تمزقكَ الصّخورُ ولا تنهشكَ الوحوشُ. لقد أنبتتْ لكَ رُقوقُ الغزلان، و أوراق البردى، وجذوعُ أشجار السرو، وأثوابُ حبيبتك، أجنحةً من ورقٍ كريم ونادر، لأنّه تقبّل صلاةَ الحبر الآثم، وحمَلكَ إلى الأعالي حيث تبدو احتمالات السقوط أكثرَ واقعيةً تماماً، وأكثرَ استنهاضاً للطيران. حينها لن تفكّرَ بالسّقوط من المكان، لكن بالسّقوط إلى الزمن على تلك البقعةِ من أرضِ الأبديّة الصلبة، حيث ستتركُ قلمَ كتابةٍ، أو إزميلَ نحتٍ، أو مصباحَ شغفٍ، أو ربما قطرةَ دم تدلُّ عليكَ. رغم أنكَ لا تموت سوى مرّةٍ واحدة تتكرّر آلاف المرّات، وذلك حين تعي أنكَ زائلٌ وأنك آيلٌ للسقوط. تعارضُ بذلك رأي (فرويد) ، الذي يرى أن الإنسانَ المعاصر هو الإنسان البدائي، لا يملك غريزةً مستعدةً للاعتقاد بالموت. ثم تعود لتسترضيه بعد قليل، مدبّجاً في مديحه إنشاءَ البلاغة الفخم : يا معلّمَ تفسيرِ أحلامِ السّقوط، لم تكن تحلمُ، حين صعد السّرطان إليك فأنقذكَ من السّقوط بالموت !

- كاتب وشاعر سوري

عندما خرَّ «بطليموس العرب» شهاباً..!

❖ أحمد سلامة

كان واقفاً مُرتدياً عباءته مُعتمراً عمامته، مُيمماً وجهه شطر مرصده الفلكي والمسرح البسيط الذي يحمل اسمه في ظل سور الرافقة العباسية، تلك هي المرة الأخيرة التي شوهد فيها عالم الفلك البتاني على قيد الشموخ، كسيف شامي يقف وسط ساحة أقيمت تكريماً له، مضت سنوات على وقفته تلك حتى نال منه التعب والصدأ واختفت زهوة وجهه، وازداد شحوبه، أما مسرحه الصيفي فقد يكون النشاط الأول والأخير الذي شهده في تسعينيات القرن الماضي عندما أقيمت عليه حفلة فنية. ثم جاء رجل من أقصى المدينة يسعى، يدعى البرازي، واشترى حانوتاً قرب الساحة، وأصبح للحانوت زبائن يرتادونه، ويجلسون عند صاحبه يسمعون قصص بطولاته وحكاياته، وكيف أنه صرع النمر الفراتي بضربة واحدة وجعل جلده "دعاسة" لأحذية أطفاله، نسي الناس البتاني، وبعد فترة لم يعد يذكر أحد دوار البتاني الذي أصبح دوار البرازي، ولم يعد يشعر أحد بوجود البتاني، وكأنه لم يكن، باستثناء بعض الأطفال الذين يلعبون في المكان أحياناً دون أن يعرفون من هذا "الحجي" الواقف كما يسمونه ببراءتهم، سقطت مدينة الرقّة بيد متطرفي جبهة النصرة وحركة أحرار الشام الإسلامية، فتلقى (البتّاني) طعنة في ظهره، أردته قتيلاً، ربما تكون بمثابة رصاصة الرحمة التي جاءت لتخلصه من الإهمال والتهميش الرسمي والشعبي الذي عاناه طيلة فترة وقوفه في تلك الساحة، خرَّ البتاني شهيداً لعلمه كتلك الشهب التي كان يرصد حركتها منذ زمن بعيد ليكون رُجماً لشياطين هذا العصر الذين لبسوا لبوس الدين وعاثوا بالأرض فساداً، حرّموا صنع التماثيل لكنهم لم يحرّموا بيعها واقتسام ثمنها، ستبقى روح البتّاني تلعن من جعلوا له نُصباً ولم يرعوه، ومن كفروه وهدموه إلى قيام الساعة.

تمثال البتاني - مدينة الرقة - 2013

محمد بن جابر بن سنان (البتّاني)، وكنيته البتّاني نسبة إلى مسقط رأسه بتّان، ولد أبو عبد الله البتّاني حوالي 854م، في حران شمال الرقة وهي من الأراضي السورية التي احتلتها تركيا، أمضى حياته في رصد حركة النجوم والأجرام السماوية في مرصده بمدينة الرقّة حتى عام 878م، توفي عام 918م، في مدينة سامراء العراقية. له العديد من الإنجازات الفلكية على المستوى العالمي.

الفنانة السورية بادية حسن : الغناء ودعم أهلنا المُهجرين خففا عني وطأة الحرب

❖ حاورها رئيس التحرير

ينقلك صوتها الشجي إلى عالم من حنين، وتحلّق روحك في فضاءات الحياة والعشق والأمل، تقف عاجزاً أمام سوريالية المقطوعات التي تغنيها.
تقدم نتاجها الليلكي وهي تشدو لسورية فرحاً وأملاً بالسلام، وروحها المعمَّدة بعشق الشام تحلم بالخلاص من الوجع القابع في الوجدان.
تحرص على كتابة كلمات أغانيها بنفسها، وتواظب على تلحين الكلمات مازجةً المفردات مع ترنيمات العشق لتخلق ثيمةً خاصة بها تجعلها تأسر سامعها قابضةً على أنفاسه حتى الرمق الأخير.
مجلة قلم رصاص التقت الفنانة السورية بادية حسن وكان هذا الحوار:

*** من أنتِ؟**

ـ بادية حسن فنانة سورية من مدينة اللاذقية، أحمل إجازة في الهندسة المدنية.

*** من أين بدأت مشوارك الفني؟**

ـ بدأت من محافظة سورية لطيفة جميلة بأهلها وطيبتهم وثقافتهم، هي مدينة الرقّة السورية، الغنية بفراتها العظيم وأهلها وعراقتها وآثارها، كانت المرة الأولى التي أقف فيها على المسرح في درَّة الفرات عام 2006 بمهرجان الشعر العربي، في تلك المدينة التي تعني لي الكثير ولي فيها الكثير من الذكريات الجميلة، وبعدها توالت المشاركات من تركيا إلى بيروت وبقية المدن.

*** " الموسيقى هي المنقذ" كما يقول الفيلسوف الألماني " نيتشه". هل يمكن للموسيقى أن تنتصر على الموت والأحقاد والضغائن والدمار الذي تعانيه سورية لتؤلّف القلوب؟**

ـ أنا أقول: أرطِّبُ روحي بالنغم كي أحميها من اليباس، تموت روحي بلا نغم، والموسيقى توظَّف اليوم لشفاء البشر من أمراض عضال، وهناك حالات شُفيت كثيراً، وبلدنا يعاني من مرض عُضال. طبعاً الموسيقى النظيفة هي التي تعكس الصورة الحقيقية للسوريالية السورية، ولولا أن الغناء والأنشطة الإنسانية التي أقوم بها بدعم من السيدة غادة فغالي في دعم أسر أهلنا المُهجرين خففا عني وطأة الحرب كنت تدمرت نفسياً.

*** يرى "بيتهوفن" أن الموسيقى وَحْيٌ يعلو على كل الحِكم والفلسفات، كيف تراها بادية حسن؟**

ـ أولاً تجربة "بيتهوفن" ليست تجربة عادية قطعاً، "بيتهوفن" الذي ألَّف أهمَّ أعماله بعد أن فقد سمعه يُثبت لنا أن الموسيقى كائنٌ روحي، كان يؤلف من خلال روحه أجمل موسيقى، وتتقاطع روحي كثيراً مع هذا الكلام، فالموسيقى ساعدتني على تخطّي أزماتٍ كثيرة وكبيرة في حياتي، وإحدى هذه الأزمات كادت أن تودي بحياتي، واستطعت من خلال النغم الجميل أن أتجاوزها وهي أزمة مرضية شفيت منها تماماً بالموسيقا.

*** كيف ترين الموسيقى العربية الأصيلة اليوم؟ هل فقدت تأثيرها أمام الموسيقى الغربية الصاخبة؟**

لا.. لا أؤمن بهذه النظرية أبداً، لأنني مؤمنة بالعبارة التي تقول: (لا يصح إلا الصحيح)، وهذا لا يعني بالضرورة أنَّ الأغنية الغربية غير صحيحة.. بالعكس! أحب الكثير من الفنانين الغربيين، "شاكيرا" مثلاً فنانة جميلة تقدم موسيقى رائعة

"من مسرح مدينة الرقّة السورية إلى قصر الأونيسكو ودار الأوبرا"

وأداءاً مميزاً، لكن يبقى لدينا في حضارتنا الجذر الموسيقي العربي وهذا من المفترض أن يبقى موجوداً ونحافظ عليه حتى نعلمه لأطفالنا، لأنه لا يُمكن لولدي أن يتعلم فنَّ الموسيقى لو أراد، إنْ لم يستمع لعبد الوهاب، وعبدو الحمولي، والقصبجي وصباح فخري ومحمد محسن، لأن هؤلاء العظماء هم الركيزة الأساسية لنا، وهذا هو «الجذر الموسيقي»، ولا يمكن أن تمحوه الثقافة الأوربية أو غيرها، ولكن لا يُمكننا أن ننكر أن جيل الشباب العربي تأثر بها، فمعظم الشباب يحبون "الرَّاب" وبعض الألحان الغربية، أنا أحب موسيقى "الرَّاب" أيضاً، لكنني أسمع "شاكيرا"، وأطرب لسماع صالح عبد الحي.

*** لمن تغني بادية حسن؟ من هو جمهورك؟ وهل هناك جمهور نخبوي في الموسيقا؟**

بصراحة لا أؤمن كثيراً بمسألة الجمهور... أو ما يُسمى جمهور النخبة، من هم النخبة؟
من الممكن أن يكون هناك شخصٌ أميٌّ أُذُنُهُ نظيفة، يسمع جملتي وتصل إلى روحه، وهنا يُمكن أن نُسمّيه «سميّع نُخبوي»... أغني للإنسان، للروح الإنسانية ولكل من يصل له فني شريطة أن يتمتع بالإنسانية، وقبل كل شيء أغني لمعشوقتي سورية.

*** أنت تغنين ما تكتبينه، كيف تنتقين كلماتك؟**

ـ غالباً ما يترافق اللحن عندي مع لحظة الكتابة، تسألني كيف ذلك؟ لدي إيمان مطلق بـ «شيطان الإبداع» الذي لا تعرف متى وأين وكيف يظهر لك، لكنه الحامل الحقيقي للحظة الإبداع، وكلُّ نصٍّ أكتبه له حكاية واقعية، وهذا سبب ملامسته لأرواح البشر، فهو يعكس تفاصيل حكاياتهم التي يعيشونها فيجدون في تلك الأغاني متنفساً لهم. مثلاً أغنية «الحلم» التي أنتجتها عام 2006 م، كانت تجربة شخصية بحتة وتحمل حالة وجدانية جميلة، وعملي مريم «البتول» هو تجربة شخصية حاز على جائزة عام 2010م.

*** مثلك الأعلى في حياتك الاجتماعية والفنية؟**

ـ اجتماعياً هناك فلاسفة وأدباء قدموا الكثير.. هم مثلي الأعلى، وكل من يخدم البشرية والإنسانية هو مثلي الأعلى، أبي مَثَلٌ أعلى لي، أما فنياً فمثلي الأعلى هم "الرحابنة" وتجربتهم الريادية التي شكلت " لاوعينا" البيني والثقافي والفني منذ نعومة أظفارنا.

*** هناك طرق كثيرة تضمن للفنان الوصول السريع، وهذا بات أمراً واقعاً لا يمكن تجاهله، ماذا تقولين عن هؤلاء؟**

ـ هم أحرار. كلٌّ له طريقته في الحياة، طريقته في تقديم نفسه، هناك من يحاول حرق المراحل بسرعة للوصول إلى هدفه الذي قد يكون الشهرة أو المال، وهم ليسوا سوى فقاعات يسقطون بسرعة لأن ما يقدمونه لا يتعدى الاستعراض، وكل ما أتمناه أن لا يشوهوا الكلمة واللحن. بالنسبة لي أنا حريصة، وفي هذا الإطار أحاول الوصول من خلال ما أقدمه فقط وهذا يضمن إنتاج فنٍّ خالد.

*** من الهندسة المدنية إلى الفن والموسيقى؟ لماذا؟**

ـ عشقي الفن والموسيقى، والهندسة مهنتي، التي درستها بناءً على درجاتي العالية في الثانوية، والمتعارف عليه في مجتمعنا أن الطب والهندسة أهم ما يسعى إليه الأهل بالنسبة لأبنائهم، بعد تخرجي من الجامعة مارست الهندسة المدنية لفترة جيدة إلا أنني عدت إلى عشقي وهوايتي، والموسيقى هي شغفي في الحياة ومشروعي.

*** فنانو سورية منقسمون! لماذا لا يُمكن أن يكون هناك حوار ثقافي كمحاولةٍ لإنقاذ ما بقي من سورية؟**

ـ لماذا لا يمكن؟! رغم الانقسام الحاصل بيننا والذي لا يمكن أن ننكره، لكن في النهاية نحن فنانون! حتماً يُمكننا الوصول إلى نقطة التقاء تجمعنا. توحَّدُ موقفنا لإنقاذ ما يُمكن إنقاذه من سورية، نحن عائلة واحدة تجمعنا أمٌّ واحدة عريقة، ومن لا يقبل بالحوار من أي طرف أو انتماء كان، هو لا يريد التأسيس لقاعدة سليمة للوصول إلى حلٍّ يحقن دماء السوريين، أساساً الفن يجب أن يكون بعيداً عن أيِّ انتماءات سياسية ويرتبط بانتماءات قومية لأن الفن قضية حرَّة.

*** كيف سينتصر الفن وصوت الموسيقى على صوت الرصاص؟**

ـ هو منتصر، إذا لم يُسكِت صوت الرصاص لا يعني أنه لم ينتصر، وهنا أذكر عبارة الفنان الكبير "عاصي الرحباني" حين تعرض لاحتشاء، وكان في المشفى، سمع أصوات الرصاص وقال: (على شو مختلفين وصوت فيروز عم يوحدهم)، صوت الفن والموسيقى أقوى من صوت الرصاص وسيبقى.

*** غنيت مؤخراً لدمشق وحلب مؤخراً ماذا تخبرينا عن آخر مشاريعك الفنية؟**

ـ غنيت لدمشق لأنها تسكن وجداني وغنيت لحلب لأنها قطعة من روحي، وفي كل بقعة من بقاع هذا الوطن تجدء جزءً مني، في الرقّة الحبيبة الرائعة اتألم لما جرى لها، ولا استطيع ان اتخيل تلك المشاهد في الرقّة لأني أعرفها جيداً وأعرف أهلها، أغنيتي في دمشق هي قصيدة الشاعر الكبير محمود درويش، وأغنيتي «يا رايحين ع حلب» هي محاولة لنصرة مدينة العراقة والحضارة، وأعمل حالياً على نصوص للآبنودي سأختار نصاً منها لأغنيه من أجل مصر، وهناك أغنية جديدة « يللا نرقص» كلماتي وألحاني وسأوديها باللهجة المصرية، وأغنية «بقى من كلمة» هي أغنية مصرية قديم سأوديها من جديد كلماتها للشاعر المصري حاتم حسين وألحان صفوان بهلوان، ستكون مصر هي وجهتي القادمة بعد الحفلات التي قدمتها في بيروت على مسرح قصر الأونيسكو، والمركز الثقافي الروسي وفي بعض المدن التركية.

كلمة أخيرة:

ـ هي أمنية أخيرة أتمنى أن تتحقق، السلام لسورية.

البقاء على قيد الحياد

❖ أحمد كرحوت

أعدائي القراء، هل شاهدني أحدكم وأنا أتسلق شجر الأكاسيا لأكون على مقربة منكم علكم تسمعوني، هاأنذا أتصاعد أمامكم كالهواء الأصفر، كالغازات المسيلة للدموع واللعاب، هل رأى أحدكم احتضاري ساري المفعول منذ ولدت في بلد عربيّ !!

لا أملك سفينة أو طائرة لأخلص أبي من قداسة الحدود المحترقة، لم أؤسس حزباً أو كتلة وطنية، لم أشارك في توقيع اتفاقيات وصاية أو احتلال لأرضي، ليس لي إلا ذراعين مبتورين وخمس أصابع شمعية أصهرها كل ليلة قبل أن أنام خوفاً أن تكتب يوماً خلسة عن استبداد الإمبراطور في دائرة الطباشير القوقازية أو حول برجوازية الحكم في جزر سانت كيتس ونيفيس نظراً للعلاقات المبهمة بين البلدين الشقيقين الممتدين بين رأس شمرا والبحر الكاريبي، لا شيء لي الا قدمين تملؤها المسامير والبراغي وصفائح الألمنيوم والنحاس وثلاثي اوكسيد البلاستيك..

أنصتوا لخطواتكم قليلاً قبل أن تفقدوا موسيقاها الطرية كالإسفنج والقوية كالكلمة، فكّوا الحبال عن أعناق الأجيال المحطمة كسيوف أكل الدهر عليها وشرب، علّموا أبناءكم أن مناجل الفلاحين ليست ساذجة كأقلامنا الرصاصية، وأن عظمة الأرض لا تكبر حين تسقى دماً، علموا أبناءكم أن الوطن لا شيء حين يكون بلا حب أو أصدقاء..علموهم أنهم الأوطان والأرض لا شيء أكثر من تراب وعفن ..

وأن الكتب ليست تاريخ وجغرافيا وقومية فقط، نعم أيها السادة مازلنا نردد كلمات تاريخ وجغرافيا رغماً عن أنوفنا نحن الضائعين في أنف بعوضة ونطلق كلمة قومية على سيارات بلا أرقام تعتدي على الشحاذين و إشارات المرور الضوئية، نطلقها على القاعات الفاخرة ولصوص الهواء وبرادات الفاكهة الهاربة من الزبداني وشاحنات تهريب التربة الخصبة والسدود وملح الأرض ودود السماد من سهل حوران إلى القطب الشمالي، كل شيء في اعتداله هو خير إليك إلا حين تموت من الصعب أن تكون واقفاً على الحياد، تودع جثمانك المحترق بنظرة أخيرة قرباناً لسواك..

أيها الذباب المحوّم فوق جثة رمادية، يا بلاد الكره والحقد المعبأة في علب سردين باهتة بلا ألوان أو صور، أيتها الشعوب المحطمة كقلب طفل عاصر الحرب منذ بكائه الأول، يا عناصر المخابرات الأرذال، أيها العملاء المزدوجين والمخبرين أيها الثوار أيها الشيوخ، أيها الطابور الخامس والخلايا النائمة في المدارس ودور الأيتام والمقابر، أعطوني قارناً واحداً أعطيكم ألف كاتب ومؤلف، أعطوني ثورةً واحدة انتشلت فقيراً من بؤسه أو استطاعت المحافظة على حياته حتى نهايتها أعطيكم نظاماً عربياً بلا سجون سياسية، أعطوني رجل دين صالح أعطيكم ألف شريعة ونبيّ، أعطوني سلاحاً في الحرب أعطيكم جثة بلا أطراف بلا لسان أو عينين، جثة تشبه الوطن تماماً.

كل شيء يبدأ في نهايته ، وكأن الحياة بمجملها تتلخص بأفلام الحروب الوثائقية أو في كتب القومية التي تشرع دائماً أولى صفحاتها بالتعددية السياسية والاقتصادية وتنتهي بأن تلك التعدديات تعود جميعها لحزب واحد قائم بذاته ولجيب واحد ، الجيب السحري ذاته الذي كان يوزع علب السمن والزيت والأقلام المكسورة والدفاتر المسطرة والضمائر المستترة وأحرف الجر وأدوات النصب والرفع وحقائب المدرسة والألوان الخشبية كمأثرة وصدقات مباركة، كل شيء في بلادنا يقع تحت سلطة التعددية الاقتصادية (الواحدة) والتعددية السياسية لحزب لا شريك له ..

كل شيء يتم توزيعه في طوابير، نشتري توقيع أمين الحزب الواحد في طابور لندخل قاعة سينما أو نجلس بزاوية على رصيف أمام قصر البرلمان، نشتري مباركات أسيادنا في طابور لندخل الجامعات الفاسدة، نشتري تذاكر المغفرة ليدخل وزراءنا الجنات ونبقى في جحيم الجوع والعراء والبرد، نشتري عصا الطاعة بملء إرادتنا وكامل قوانا السمعية فقط، نبيع مبيدات الديدان والحشرات الصغيرة لنستورد مبيدات بشرية أكثر ضخامة ومفعولا، وأخيرا نصلي لله على أننا خير أمة أدخلت بين الناس عنوة، نشتري القبور بكل ما نملك من

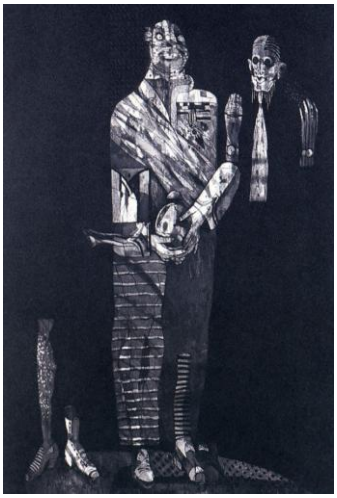

لوحة للفنان يوسف عبدلكي

علب بيرة معدنية وفوارغ زجاجات النبيذ الفرنسية شفقة على أجسادنا المسكينة، كي لا تُترك تحت النار المندلعة من أفواه الشعب ومِعَدِهم الفارغة لتتحول إلى بترول يضيء عتمة قصر المهاجرين أو يحرك سيارة أحد المسؤولين في الحكومة منتهية الصلاحية والشرعية إلا في نظر ذاتها، نشتري الخُرافات بالطمأنينة والأباطيل بالولاء..

املئوا آذانكم بصخب العواء والنحيب، املئوا أرجلكم بالطين المكوم فوق أرصفة العشوائيات، املئوا قلوبكم بالحقد والغل والترهيب والخوف املئوا عقولكم بصور التوابيت والأكفان وصدأ الحديد على رؤوس بنادقكم ، المهم أن تبقوا على الحياد وأن لا تقربوا الكتاب فهو سمّ قاتل.

• كاتب وشاعر سوري

الفن والحرية في الفن المعاصر

❖ سعيدة بنسليمان - الموجة

ينطلق الفن من حيث تنطلق الحياة، ولا حياة دونما حرية، إن المبدع هو ذلك الكائن الحر الطليق وهو المنفلت من القيود والأغلال. هو الطائر المحلق في سماء الحقيقة من حيث هو الحقيقة عينها، وخالقها ومبدعها. إن الفن ميتافيزيقا الوجود، إذ هو هو، لا محاكاة له. بالحرية ننفلت من العدم إلى الوجود، فلا يمكن أبدا تصور وجود الفن دونما ارتباط بالحرية كروح له. لكن عن أية حرية نتحدث، هل هي حرية مقيدة بشيء ما أم هي حرية طليقة في الهواء؟ لا يتفق الفلاسفة على تعريف واحد للحرية أو على حدود لها، لكن الفنان هو كائن خارج على كل التصنيفات والأعراف والأفكار... إذ لا يجب أن نؤطره داخل إيديولوجيا ما أو حدود ما، أو جغرافيا ما... إذ أنه صانع الحياة وخالقها. لهذا عليه أن يخترق كل الحدود والسلاسل الإيديولوجية والعقدية ليبدع ويصنع، ويخترق ليهدم، ويهدم ليبني، ولا يبني إلا الحياة من حيث هو حقيقتها وظاهرها وصانعها.

يقول نيشته : لقد اخترعنا الفن لكي لا نموت من الحقيقة . صار العالم اليوم شاهدا على مد كبير لما بتنا ندعوه بالفن المعاصر... هذا الفن الذي نصنفه بكل قوة ضمن ما بعد الحداثة. هذه الأخيرة التي تتسم بحساسية رهيفة لكل شكل إبداعي جديد يطلق جناحيه للحياة. وقد صار الكائن المبدع خارجاً عن كل القيود التقليدية أو التقليدانية وخارجاً عن كل أشكال الإبداع البطرياكي... ولا هو صانع لسيمولاكر لعالم لاموجود – المُثل - ، بل هو صانع للوجود إذ يجدده ويغيره ويبدعه. الفن المعاصر هو فن بعيد عن كل القيود مخترق لكل الأعراف، غير مكترث بأي شكل أكاديمي جاف، هو صانع نفسه، إذ ينطلق من الذات ليصل إلى الذات... مستعينا بالرؤى الفلسفية المعاصرة التي أضحت ترى الإنسان كائناً فوق أية أغلال عقدية. لم نعد اليوم نتحدث مع الفن المعاصر عن فنون جغرافية أو مذهبية، بل أصبح المبدع كائناً حراً يحلق بين الجغرافيات ذهاباً وإياباً، عبر إبداعات تخترق الحدود لتصير قابلة لأن تكون صورة وتمثلاً - لا محاكاة للعالم واختزالاً له - بل هو إعادة بناءه وتجديده وترتيبه. اليوم، أو لنقل منذ عقود قريبة صار العالم يتجدد باستمرار قابلا لأن يكون في صور متعددة ما دام الفنان حرا وطليقا، حر التفكير وطليق الإبداع والرؤيا. لقد صنع بيكاسو ومن معه تصوراً متجدداً في المستوى التشكيلي، مستدرجين الفن الزنجي إلى الرسم التصويري الأوروبي. وقد تأثر بولوك بالإنسان الهندي الأحمر لينتج لنا مدرسة تشكيلية مغايرة، مشكلة انعطافا حادا في التاريخ الفني العالمي. مما يوضح كون الفن هو الشكل الأمثل للحرية من حيث هي روحه... أصبحنا اليوم نتكلم عن تعدد أشكال العرض الفني، بفضل فلسفة الفن المعاصر. إذ صار الفنان لا يقتصر في عمله الإبداعي على لوحة تصويرية أو مؤطرة داخل إطار خشبي أو فوق قماشة معلقة على جدار معرض. بل نحن اليوم، نتحدث عن الفنان المتعدد والخالق والمفكر من حيث هو نفسه العرض والصانع والمبدع والمتفاعل معه. يمكن القول إن لا حرية بلا وجود، ولا وجود بلا فن، ولا فن بلا حرية.

• الجزائر

نور ملحيس..رسام شاب يبيع لوحاته على الطرقات في لبنان..!

❖ بيروت . قلم رصاص

نور ملحيس شاب سوري في العقد الثالث من العمر، فقد عمله في مدينة حلب قبل أربع سنوات، دمرت قذائف الموت معمل المفروشات الذي كان يعمل فيه مع مئات العمال ممن فروا بعوائلهم هرباً من حرب لم يسلم من نيرانها لا البشر ولا الحجر، لم يجد نور ملاذاً له ولأسرته في ظل اشتعال كل تلك الدروب في بلاده إلا لبنان، وهناك حطوا رحالهم قبل أربع سنوات، يروي نور حكايته لمجلة قلم رصاص وهي مثل حكايا معظم السوريين الذين شردتهم الحرب وهدمت أحلامهم: «كنت أعيش في حلب مع زوجتي وطفليّ، كانت حياتنا جميلة بالنسبة لزوجين في بداية عمرهما، كان لدينا الكثير من الأحلام، أعمل في معمل مفروشات وأفكر بمستقبل طفلي الذي أردت تعليمه كي ينجز ما لم أستطع إنجازه أنا وأقصد الدراسة الجامعية، لأنني لم أكمل تعليمي أنهيت المرحلة الابتدائية فقط، كان ذلك يؤلمني في السابق بعد الحرب لم أعد اتحسر على شيء».

قصد نور لبنان على أمل أن يجد فرصة عمل يستطيع من خلاله إعالة أسرته، وضمان حياة كريمة لزوجته وطفليه، بعد ان ضاقت أوضاع الناس في المحافظات السورية الآمنة وقلت فرص العمل كثيراً، واستقر في البقاع قريباً من الحدود اللبنانية - السورية وبدأ رحلة البحث عن عمل، وعن ذلك يقول: «لم يكن الأمر سهلاً في لبنان كما ظننته، البلد الصغير يضيق بأهله ولا يحتمل قادمين جدد، وجدت منزلاً متواضعاً يأويني وأسرتي بإيجار شهري 200 دولار، وبدأت رحلة البحث عن عمل وهنا بدأت المعاناة، حيث أنني لم أجد عملاً بأجر مناسب، كثرة اللاجئين أثرت على فرص العمل وكذلك على الأجور، معظم أصحاب المصالح استغلوا ذلك فانخفضت أجور العمال كثيراً».

كان نور قد تعلم الرسم من والده الذي كان رساماً، وطور هوايته منذ كان في الرابعة عشرة من عمره، ولم يكن يعلم أن هذه الهواية التي كان يمارسها حباً بالفن وتجسيد الطبيعة عبر لوحات زيتية ستتحول يوماً ما إلى مصدر رزقه وعيش أسرته الوحيد في ظل ظروف قاسية يعيشها في غربة فرضتها عليه الحرب المشتعلة في بلاده منذ ست سنوات.

يضيف نور: «عندما لم أجد عملاً في لبنان، فكرت بالرسم، وقررت أن أجرب استثمار هوايتي القديمة التي كان الفضل بتعلمها لوالدي، اشتريت ألوان وبعض المستلزمات وبدأت بالرسم، هي معاناة حقيقية أن ترسم كواجب وظيفي عليك أن تكمله وتنجز أكبر عدد من اللوحات حتى تبيعها، كان ذلك صعباً علي في البداية ثم تحول لاحقاً إلى جزء من روتين حياتي اليومي، أقضي ساعات في الرسم وبعد أن أنهيها أجمعها وأبدأ رحلة أخرى هي الجزء الأصعب من عملي، وهي تسويق اللوحات وبيعها».

كل ثلاثة أيام يحمل نور ما أنجزه من لوحات وينزل بها من البقاع اللبناني إلى العاصمة بيروت ومناطقها، يختار مكاناً يقف به حاملاً لوحاته كي يبيع بعضها ويعود مساءً إلى بيته في البقاع بما يسد رمق أطفاله.

«في البداية كانت وجهتي المحلات المتخصصة ببيع هذه اللوحات لكن أصحاب تلك المحال لم يكونوا منصفين بالسعر الذي يعطونه لي، لا يدفعون في اللوحة الواحدة أكثر من 3 دولار، بينما تكلفتها علي دون تعبي حوالي 7 دولار، لم أوفق بالتعامل مع التجار لذلك اتخذت قراراً بأن أبيع لوحاتي على الطرقات في بعض المناطق اللبنانية، وبدأت الرحلة قبل أربع سنوات وما زالت مستمرة بما فيها من صعوبات ومعاناة، وأبيع لوحتي مقابل 13 دولار».

كثيرة هي المواقف التي يتعرض لها نور خلال عمله منذ أن يخرج من بيته حتى يعود إليه، مضايقات من شباب لبنانيين في الطريق، بمجرد أن يعرفونه سوري تبدأ المضايقات، إضافة إلى أن عناصر البلديات يطردونه أينما وقف لبيع لوحاته، رغم أنه لا يصيح عليها بصوت أو يعرضها في شارع إنما يحملها ويبقى واقفاً ولا يفردها إلا لمن يطلب منه أن يفعل ذلك من أجل أن يشتري، كذلك حظر التجول على السوريين في بعض المناطق رغم أن تلك المناطق تشكل السوق الرائج لتجارته البسيطة.

«المعاناة كثيرة وكبيرة تبدأ من السرافيس أغلبهم يأخذون مني أجرة راكبين بدل راكب بمجرد أن يعرفوا أني سوري، رغم إني أغلف لوحاتي وأضعها في حضني أثناء نقلها وهي لا تأخذ مكاناً أو تضايق أحداً، ثم اضطر لسماع سيمفونية كاملة خلال الرحلة من البقاع إلى بيروت عن السوريين الذين دمروا لبنان، إضافة إلى السخرية والاستهزاء وأحياناً تترافق مع كلمات نابية، لكن لا أستطيع الرد يعني السوري في لبنان يسمع مسبته بإذنه والأفضل له يعمل نفسه ما سمع وإلا تتطور الأمور من المسبة إلى الضرب، أما بالنسبة لأماكن البيع فأني أحمل لوحاتي وأطوف بها في بعض الأماكن تم طردي ومنعي من البيع في شارع الحمرا.. وكذلك من الداون تاون.

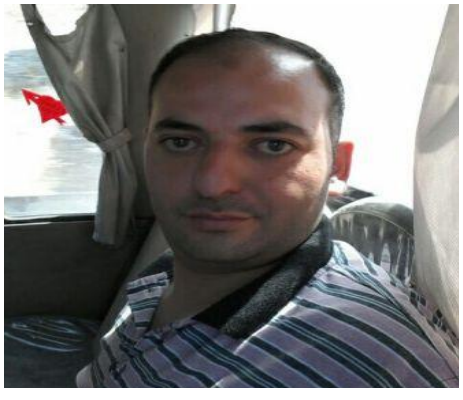

بدأت بالذهاب إلى جبيل وجونية وزغرتا وهناك أيضاً يطرونني عمال البلديات، رغم اني لا أنادي على لوحاتي أو أفردها بالشارع فقط أحملها وأقف وأعرضها لزبون يسألني عنها».

«بنظر بعض اللبنانيين أنا مجرد جبان هرب من الحرب بدل أن يدافع عن مدينته، وبنظر آخرين أنا جبان هربت وتركت شعبي يُقتل دون أن أدافع عنهم، أما الحقيقة فهي أنني شاب لا شأن لي بتلك الحرب خدمت جيش بلدي منذ زمن بعيد، وليس لي هدف في هذه الحياة سوى الحفاظ على عائلتي وضمان معيشة كريمة لأطفالي حتى يدرسوا ويكملوا تعليمهم».

حال نور حال مئات الآلاف من اللاجئين في لبنان، سجل نور في المفوضية السامية لشؤون اللاجئين في الأمم المتحدة، على أمل أن يحصل على مساعدات شهرية تعيله قليلاً على مصروف لبنان الباهض، إلا أنه لم يحصل على أي شيء منذ لحظة تسجيله قبل أربع سنوات، هو فقط اسم تم إضافته إلى سجل اللاجئين ليُستثمر في محافل سياسية لا أكثر، حتى أنه اضطر لإجراء عمل جراحي لطفله ودفع تكاليفه كاملة ولم تساعده الأمم المتحدة أو غيرها في تكاليف العمل الجراحي، وحول ذلك قال:

«تستغل مفوضية الأمم المتحدة تسجيل اللاجئين من أجل أجندتها السياسية، أما إنسانياً فهي مجرد خدعة وضحك ع اللحى، سجلت منذ قدومي إلى لبنان لكني لم أحصل على أي مساعدة، احتاج ابني إلى عمل جراحي ودفعت تكاليفه كاملة ولم تسهم معي الأمم المتحدة بشيء ولم نحصل منها على أي مساعدات غذائية، تصل بعض المساعدات من دول عربية إلى هيئات لبنانية، ونسجل من أجل الحصول عليها، وعندما نذهب للاستلام يضربنا عناصر الدرك اللبناني، ويشتموننا ويهينوننا ولا نستطيع الرد، ثم أن معظم الجمعيات والهيئات تسرق المعونات، الكراتين تكون مفتوحة وتم استبدال البضاعة القادمة من الدول العربية بأخرى صناعة لبنانية، ولا نعرف نحن ما جاء في تلك المعونات لأنها تُسلم باسم السوريين إلى الهيئات اللبنانية وبعد أسبوع أو أثنين يدعوننا لاستلام المعونة، ولا نحصل عليها إلا بعد أن يستمتع اللبنانيون بإذلالنا».

ويختم حديثه بالقول: «كل ما أتمناه هو العودة إلى سورية وأبوس ترابها وإلى بيتي في حلب، أتمنى أن تنتهي هذه الحرب كي أرجع وأشجع نادي الاتحاد مع أصدقائي، ذلتنا الغربة..ذلتنا».

ف هـ

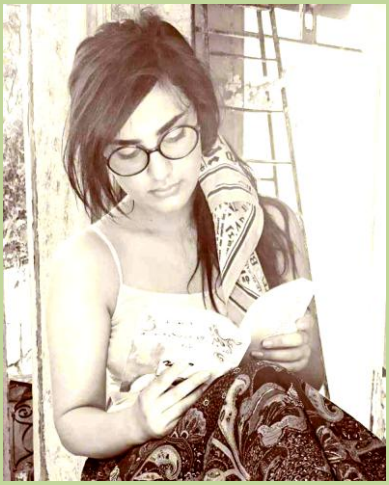

❖ مناهل السهوي

الحبُّ الهجين

كانت حياتي تتلطخ بالرجال
لم يكن الأمر بسيء
لكنه مربكٌ
لامرأة بنهدين فقط
وبظل مجوف
سوائل جسدي غدت قمحاً
يتنفس من الأسرّة الضيقة..
كلما مارستُ الحبَّ معك
عدتُ عذراء..
كان الحب هجيناً حينها
وكنتُ لازلتُ أسوي ربطة شعري

على الكرسي الهزّاز امرأة

في الشرق نحبُ رجلاً واحداً
وندرك أنّنا أحببنا كلّ الرجال في طريقنا
يا لذلك الشعور
كبركان لا أذرع يرفعها للسماء
لمّا أذابت الحمّم جسده
كيف لم يعرفوك من تشوه نصفك الأيسر،
حين ترويت في مضغ النهد النيء
كيف لم يعرفوك،
وسبابتك المرفوعة تهاجم وجهي؟
تقول كلّ ما لم أفعل
تقول كلّ ما أخشاه
إصبعك التي صارت في النهاية
أقرب إلى شكل حيوانٍ أليف
هكذا،
صار الفُقد أقل وقعاً على قلوبنا
حين ارتدينا أوشحة الشتاء القادم،
خرجنا ننظرُ السماء
نشعر بوخز المطر على وجوهنا المرفوعة
لم نقصد الحب،
كنّا نبحث عن مزمارٍ
نعلّمَ به الذئاب الابتعاد عن قطعاننا

• شاعرة سورية / دمشق

❖ المُغيرة الهويدي

الخطايا العشر

هاأنذا أفعل ما لا أريد وأتمنى مالايمكن
والخطايا الّتي أقترفها لاتعجبني، ولا تشبهني تماماً...
مزدحمٌ دون أن أمتلك القرار بذلك،
وكثيرٌ دون أن أجد في خزانتي قوارير كافية؛
لأملأها برسائل مقتضبة، رسائل متشابهة في احتمالات الوصول والخاتمة!
الخطيئة الأولى هي الأم وذلك الحبل السرّي الذي يربطك بالذاكرة،
هي الصرخة المشتركة بينكما،هي الصدى الذي يجفّ كما تتلاشى المشيمة في رحم اليأس!
والخطيئة الثانية هي الحقيبة عندما تحملك خلف البحار مدفوعًا بوهم الحياة الأجمل والنساء الغريبات حينما لايسألنك عن اسمك،
وحينما لا يعرفن الكثير عن اختلاطٍ في أنفاسكَ يشبه احتضار الروح فوق مائدة الجسد، ثمّ تستقيم ...وتغادر!
والخطيئة الثالثة هي وجهكَ الذي يفقد سكّره ويصبح مرًّا وداكنًا ومخالفًا لذاتك، عندما تشرب نصفه وتترك النصف الآخر للذباب و لتجاهل الغرباء، وأنت في مكانك تلوّح للنظرات العابرة بنصف ابتسامة وجرحٍ في الجبين!
والخطيئة الرابعة هي الله؛ لأنك تحبه ولاتنتظر منه مقابلاً ولاتفكّر بماسيحدث لو أنّك امتنعت عن ذكر اسمه، لم تفكّر بالجنة ولاتعنيك كثيراً آيات الترغيب وزخرفة الحياة الدنيا وابتهالات الآخرين، ولايعنيك دعاء أمّك أو شتيمة امرأة تركت في قلبها وجعًا برحيلك...
تحبّه لأنّك تحبه ولأنّ الأخطاء الفادحة في هذه الحياة تغريك بتجاهل القيامات المتوثّبة!
والخطيئة الخامسة هي اسمكَ ونصيبك منه، ونبر صوتكَ وخجلكَ الطفولي وانفعالك الريفي بمالايليق بنقر أصابعها على فنجان في مقهى صارخ الأنوثة!
والخطيئة السادسة هي "وشم البكار"، ذلك الذي لم ترسمه غجريّة على وجهك، عدم معرفتك بعرق "النوريّات" ساعة الرقص في قيظ الفرات، جهلك التّام بأسماء الأعشاب الضارة والفروق الشاسعة بين القمح والشعير في الأخضر وصوت الماء في يدك والريح في عباءة جدّك!
والخطيئة السابعة هي موتك الذي لن يجيء كاملاً بهيًّا، ستموت دون أن ترى شق الجيوب وقص الضفائر ولطم الخدود على خريفك الأخير، ودون أن تترجل عن فرسكَ لتعبر فيض نشيجهنّ بصمتٍ وسلام!
والثامنة هي ما تكتبه عن الوطن وأنت تضحك من هذه الكلمة، وتتمنى لو استطعت أن تعلن انشقاقك عنه أمام الشعب والحكومة والزعيم والعلم والنشيد الوطني وملوك الطوائف...
تمزّق هوياتك كما تمزق ورقة امتحان بعد أن تجيب عن الأسئلة كاملة، أن تكتب على الجدار:
"نموت نموت ويحيا الوطن"
ثمّ تبول عليه!
والخطيئة التاسعة هي أن أقتل ذبابة، أشيعها ثم أدفنها في أصيص زهور موسمية ميّتة وأبكي فوقها، وأكفّر عن هذه الخطيئة بقطعةٍ سكّر كشاهدة، ثمّ أمضي تاركًا لأخواتها تقاسم العزاء فوق نصف وجهي الداكن، بوجعٍ اسمه الخطايا التي لا تشبهني تمامًا
وبجرحٍ غائرٍ في الجبين!

• شاعر سوري / الكويت

❖ رند رومي

هجر...

كنت أمشي معك كحيوانٍ أليف..
ألعقُ البقعَ على جسدي محاولةً إزالتها..
تبدو على معرفة بملامح المكان...
كان الآخرون يلقون عليك التحية..
ويرمقونني بغرابة..
غرفةً صغيرةً تحتوي على سرير خشبي مغطى بملاءاتٍ بيضاءَ، وبعض الكتبِ المرتبة على رفوفٍ بسيطةِ المظهر..
وفي أذني سكبتَ بعض الأحاديث، كنت أسمعكَ جيداً وأومئ لك برأسي، بينما يشغلني سؤال واحد فقط..."هل ستتركني"؟
حملت رأسي بكفيك ووضعته على صدرك وقبلته مودعاً، في غيابك كنت أبحث عن رائحتك في زوايا الغرفة..
مضت أيام دون أن أعرف عنك شيئاً، انتهيت من قراءة آخر كتاب في المكتبة الأبواب مفتوحة لكني أخشى أن أترك مكاني فتأتي في غيابي، طال الوقت وطال شعري وأظافري..
ماذا لو أتيت ولم تجدني يوماً؟
أنا أموت وأتحلل ببطء..
أظافري هي الوحيدة القوية..
بدأت أكتب لك رسائلي كل يوم على جدرانِ الغرفة، كان الظفر الواحد يكفيني لأدون رسالة واحدة، هذا يعني أن لدي من العناق عشرَ رسائل فقط..
سأستثمرها جميعاً في لقائك هنا على جدران هذه الغرفة..
سأعيش معك عشرة حكاياتٍ مختلفة..
وهذا ما حدث، كنت أكتب حتى يسيل الدم من أصبعي، وعندها فقط كان جسدي يرتعش ثم ينتفض كسمكة أسقط مغشياً علي حتى اليوم التالي..
في الليلة الأخيرة، الإصبع الأخيرة..
كنت أعرف أني بقايا مخلوق لم يبق منه إلا الزبد..
وبقايا يد تحاول صياغة الرسالة الأخيرة.

• شاعرة سورية / اللاذقية

❖ عبد الرحمان السالت

س السؤال

موغل
في السؤال
عند المساء يأخذني المغيب
يا آية الماء
هو الطين صوتك
طلقتك الأولى...
ورؤاك
هي الريح إذا...
تربتك...
جذورك ومنتهاك
2
نستقرء هذا العمر
ذاتك الرغبة...
والخطو محطات
3
كيف لا
وانت في متن الغيب سؤال
هذه حيرتي
موغل في التشكل...
إنسان
تدبر..
تمدد...
تبدد
أنت في الآخر إنسان
4
سين: السؤال
كون اللغة المشتهاة
ثمة حرف ورطني
في الآه...في البوح
هو القلب الذي أشرع نبضه...
خفقه كينونة اللغة
ملكوت المعنى...
خبايا الرمل

• شاعر جزائري

❖ وفاء سعيد

أيها الصمت

أيها الصمت ..
القادم من الأفق النحاسي الظلّيل بالهوى والعشق
آية الوجد أنت
والشغب الدوي في الآفاق حيث أغمض عينيّ
أغمضهما حيث تبحث الطفلة عن الفكرة وتبحث الأنا عن النطفة
المشحونة بالقلب
انجرحت.. تتشظى ... تنتحب .. وتأتي الطفلة
تبتسم ، نشوة إجابة سؤال
القلب يرتعش والهوى يبتسم وهي تنتظر
عل السؤال يأتي عن قريب
ما جاء السؤال
ولا الهوى
ولا القلب ارتعش
جفت الطفلة
وضاع البريق
جاء الحلم يراود النسيم
قال: دعها
قال: هي ترتعش حد المرض
قال: نعم
وهي....وهي تبدو للظمأ شيء بلا حدود.
جاء المطر وارتوت الأرض
شمت الطفلة الرائحة..خرجت مسرعة
أمسكتها يد قاسية
إياك...ثوبك ثمين يتسخ
ثوبك أبيض وفراشات زرق ترقص تسبح
فعاملة منزل تضحك
الطفلة تبني بيتاً من طين تدخل فيه دميتها كي تلعب
دميتها تكسر باباً.. نافذةً، تركض
صرخة
وهروباً حافياً
والمطر يضحك بغزارة
حتى قهقه
خافت ارتعشت
نظرت صمتت راجية عينا الطفلة
واختفت الأوراق في شعر الطفلة
يا نخلة..جذعك يؤلمني لكن صوت الرعد يؤلمني
سقط عشٌ
ضاع البيض
بابا
بابا
خذني للبيت

• روائية عُمانية / مسقط

❖ علي السعيدي

حبنا محاصر حبيبتي

حبّنا محاصر / حبيبتي
لاننا لم يمارس / الخطيئة
في زمن / الفضيلة
هل تشعرين الآن
بلذّة الإحتراق
تسللي الأن الى
وحدك
وقد أعود لرؤيتك
إذا ما داهمتني
وجيعة الغرام
أنا المسافر وحدي
لأحمي غربتي القديمة
وأفرغ ذاكرتي
لتخلع الرؤوس تيجانها
وتعلن الحداد
عابر انا حبيبتي
حتى آخر المسافة
حين يتغير لون
الفجر
كل شيء في وطني
ينذر بالفجيعة
القلب يخفق بشدة
والوجوه كلها كالحة
ينصرون الباطل
وقطرات الدم تتقاطر
ما عاد لي وطن
ولا حبيبة
اتيتك شاعرا
وعاشقا
في المدى حزنك
لكِ أخر حلمي أن
أمشي ..

• شاعر المناجم / تونس

ممحاة | نصوصٌ تحكّ رأسها ببلاهة خلف الجدران!

❖ زيد قطريب

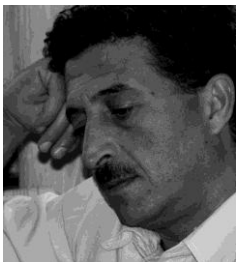

هي النسخةُ الظلُّ إن صح التعبير، فإذا ما افترضنا أن لكل شيء في هذا العالم نسختان، فإن ما نكتبه على الملأ أو ننشره هنا، لا يشكل سوى النسخة البائسة من النص الحقيقي الذي يفضّل أن يحكّ رأسه ببلاهة وهو يرى أخاه التوءم منهمكاً بصعود سلم الشهرة أو مدمراً بسيل الشتائم والانتقاد!.

كثيراً ما يقع الشقاق بين نصوص الظل ونصوص الواجهة، تلك النصوص المتفانية في عملها ليل نهار، لا يروقها تحوّلُ شبيهاتها من النصوص إلى عمال في سوق الهال أو تمسيح الجوخ. وإذا ما أرادت تلك الكتابات النبيلة أن تشدّ نسخها المشوهة من المشهد تلافياً للفضائح وتدمير القيم، فإن معاجم الأخرى تستخدم أقصى طاقتها من أجل هدم المعبد على أصحابه ومن ثم الخروج بمظهر البريء الذي ظلمه النقد والقراءات الموضوعية للأحداث!. في كل مرة على هذا النحو، تفكر نصوص الظلّ أن تحجب الثقة عن نصوص العراضة وحفلات الأتيكيت، لكن غريمتها تحسم المعركة من الجولة الأولى جراء براعتها في الغش وشراء الأسماء في التصويت!. نصوص الواجهة حربوقة وتعرف من أين تؤكل الكتف، أما نصوص الظل فهي تحكّ رأسها ببلاهة عندما تراقب المشهد، كأنها متصوفة أو تعيش في نرفانا من العبارات المكتوبة من أجل مجد الكتابة فقط!.

من الأحداث النادرة في التاريخ، أن يحدث اتفاق كبير بين نصوص الواجهة ونصوص الظل!. ذلك الخط الواهي الفاصل بين الأخوة الأعداء، يمكن أن يتحطم يوماً عندما يرتفع منسوب النبل إلى أقصى درجة يتسبب إثرها في حدور مدّ كبير في نهر الكلمات يغطي حينها العشب في حالة يسمونها سنوات الإبداع والخير الوفير حتى على صعيد الأرض الزراعية وتدفق الينابيع.. حالة ربما لا تحدث إلا مرة كل عشرات السنين، وربما يموت الكاتب ولا يرى بأمّ عينه أبناءه النصوص يقفزون من خلف الجدران كي يحتضنوا أخوتهم العائدين للتو من النشر!.

مرات كثيرة، تغرق نصوص الظل بصوفيتها العالية، فهي لا تكتفي أن تزهد بالمال والسلطة فقط، بل تشاء أن تختفي تماماً من المشهد لتترك الساحة فارغة لنسخ التقليد وتلك المصنوعة كفيما اتفق!. نصوص الظل تعرف تماماً حجم الضريبة التي يفترض أن تدفعها عن طيب خاطر، لكنها في كل مرة تبقى الخاسر الأكبر وهي تنتظر أن يُرد اعتبارها دون جدوى!. تلك الكتابات التي تصوغ المجد في كل مرحلة، تجلس البشرية كي ترثيها لاحقاً لكن بعد فوات الأوان!.

لكل قصيدة في هذا الشعر، نسختان، الأولى محفورة بأناة وثقة على لوح من الصخر، وأخرى تشبه الخرابيش أو الهراء الفارغ الذي يتصدر المشهد بعجره وبجره ودمه البارد.. نصوص تحك رؤوسها ببلاهة خلف الجدران، وهي لا تصدق ما يجري، وأخرى تقدم مستنداتها الشرعية ثم تحتل الواجهة كأن شيئاً لم يكن!.

• شاعر وناقد سوري

رصاصة الرحمة | عصر المجتمعات

❖ نجيب نصير

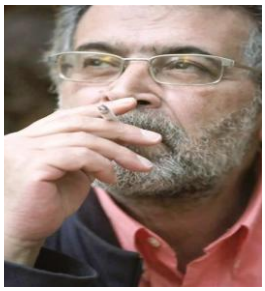

كما في كل مرة، لم ينتبه فرسان الكلمة والقلم، من محللي الفضائيات ومعلقي المطبوعات، بمناسبة الحادث الجلل، بخروجها من الإتحاد الأوربي، (وليس الإتحاد السوفييتي على أية حال)، إننا في عصر المجتمعات، على الرغم من إنفتاح هذه الكرة الأرضية على دنياها، وعلى الرغم من الإرتقاءات المذهلة لتكنولوجيات الإتصال والعولمة، وعلى الرغم من كل القوارب المطاطية والسفن المستهلكة التي تنقل اللاجئيين الى أي شط، شرط ألا يكون وطنهم، لم ينتبهوا بتاتا أننا لما نزل نعيش عصر المجتمعات، وهي الصفة التي قد لا تقارب ذهنياتهم بتحليل أو تركيب، أو بأية عملية معرفية أخرى، فقد اطمأنوا أن اللغة قد أبلغتهم بفرمانها السامي، أنهم أولاد... مجتمع!

خروج إنكليزيا من الإتحاد الأوربي بقرار مجتمعي، لم يعن لأحد أن المجتمع انشرخ على ذاته، فالمجتمع هو وحدة مصالح تجري في الزمن، لا أحد يستطيع المزاودة على أحد، وإلا لتحول المجتمع الإنكليزي (وحسب النتائج الرقمية للإستفتاء)الى نصف من الخونة والنصف الآخر من البلهاء، أو من المغرر بهم، حسب التعريف الطليعي "للجماهير "، حيث يتحول هؤلاء الطليعيون من فرسان القلم والكلمة الى فاقدي الشيء.

قد يبدو هذا الكلام فاقداً للمناسبة، أو قد تبدو الفكرة التي من ورائه غير واضحة... ولكن المسألة بسيطة، فلا دخول أو خروج من والى الإتحاد الأوروبي أو غيره (وليس الإتحاد السوفيتي على أية حال)، إلا للمجتمعات، وبالمعنى الحداثي تحديداً وبالضرورة، ومن هنا تبدو جل المقالات والتحليلات التي كتبت بمناسبة هذ الحادث الجلل، وكأنها تصف الحياة على المريخ، فمن يعتقد أن المجتمع هو مجرد تصريف لغوي لمفردة (جمع)، لا يستطيع الإحاطة، أو التحليل بعملية إجتماعية، حتى لو كان من نخبة الإختصاصين، فما ينقصهم هو رؤيتهم للمجتمع بمعناه الدنيوي المعاصر.

لا لن تتشقق إنكليزيا، ولن تنهار، ولن تزعل منهم (مركل) حتى،ولن ينام بلا عشاء تأثراً بموقف (مركل)، فللمجتمع بمعناه هذا، آليات و أدوات وضروب تجعل من المسألة برمتها سياقاً في نسق التطور والإرتقاء، بغض النظر عن رأينا الأخلاقوي به.

المجتمع هو وحدة مصالح أعضائه، تظهره وتؤطره وتضبط إيقاعه تكنولوجيات الأجتماع البشري المحدثة، وليس اللغة أو الدين أو الآلام والآمال المشتركة، وهو ما استدعى شن هؤلاء (فرسان القلم والكلمة) الهجمات على " القومجية"!!!،من خلال فهمهم التراثوي الشفهي لمفهوم المجتمع، وهو فهم يودي على جاري العادة الى تبني الأنموذج المعاكس تماما، أي تعريف الذات بأنها عكس النموذج المضاد (الآخر) فقط. لن يستطيع هؤلاء تحليل ونقد حدث إنفصال إنكليزيا عن الإتحاد الأوربي، لا لشيء، فقط لإنهم لا يقاربون معرفياً معنى المجتمع في العصر الحديث.

قد أكون دحرجت تهمة كبرى يعيبها التعميم القتال، ولكننا جميعاً لسنا أبناء مجتمعات هذا العصر، لا في الواقع، ولا بالفعل التفكيري،وقد أكون جائراً أو مخطئاً إذ أقول، إننا سكان بلاد مجرد بلاد لم نستطع تحويلها الى أوطان... أي مجتمعات، فلتصححوا لي.

• كاتب وسيناريست سوري

مجلة قلم رصاص | نصف خطوة نحو الحقيقة ـ مجلة ثقافية شهرية منوعة تصدر بجهود شخصية عن موقع قلم رصاص الثقافي

. رئيس التحرير: فراس الهكّار . مدير التحرير: عمر الشيخ

الموقع الإلكتروني: www.qalamrsas.com | للمراسلة عبر البريد الإلكتروني: qalamrsas2016@gmail.com